الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ الحضارات القديمة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الحضارات القديمة

الموسومة بـــ:

الدور الحضاري للفينقيين في البحر المتوسط

إعداد الطلبة:

– صافو خيرة

–مقداد خيرة

إشراف الأستاذ:

❖ د.قفاف بشير

د. مجاني عز الدين	أستاذ محاضر أ	رئيسا
د. قفاف البشير	أستاذ محاضر أ	مشرفا
د. حمادوش بولخراص	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

قد يقف المرء عاجزا عن رد الجميل لذوي الفعل وقد لا تطاوعنا أساليب التعبير لنعبر عن معاني الشكر والتقدير، الشكر لله أولا و أخيرا ومن باب قوله صل الله عليه وسلم : ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))

نتوجه بالشكر الجزيل ووافر الامتنان والعرفان إلى كل من ساعدنا من قريب ومن بعيد لإنجاز هذا العمل المتواضع ونخص بالذكر الأستاذ " قفاف البشير "..... " الذي كان لنا مرشدا ومعينا لآخر لحظة من إنجاز هذه المذكرة

وإلى جميع الذين ساعدونا تحية شكر وتقدير

ونرجو من المولى أن يجزيهم خير جزاء

إهداء

قال الله تعالى: (قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون)

إلى الله قبل كل شيء

الحمد لك كما ينبغي لوجهك و عظيم سلطانك.

شكرا لنفسي الطموحة التي لم تخذلني و اجتهدت إلى ان حققت.

إلى أمي و أبي قرة عيني اللهم أعني على برهما و ارزقني رضاهما و أجزل لهما الخير و المغفرة يا كريم يا ودود.

إلى أخوتي الاعزاء انتم السند و الدعم حفظكم الله.

إلى النور الذي دخل حياتي عائلتي الصغيرة زوجي وبناتي وسندي ان شاء الله

و إلى أستاذي الفاضل قفاف البشير

و أخيرا نحمد الله الذي وفقنا لنصل إلى مشارف التخرج فالحمد الله رب العالمين.

صافو

إهداء

الحمد والشكر لله الذي منحني الصبر والقوة على إنجاز هذا العمل.

إلى أعز وأغلى ما أملك في الوجود والتي صبرت على كل شيء ولم تنساني يوما دعائها "جدتي الغالية".

إلى الذين كانا سندين لي طوال حياتي وإلى اللذان تعبا كثيرا من أجل راحتي وتسهيل تعليمي "أبي و أمي العزيزين".

إلى من ساندني في إنجاز هذا العمل وكان لهم بالغ الأثر في الكثير من العقبات والصعاب "عائلتي الصغيرة : زوجي وإبني وإبنتي".

إلى جميع أصدقائي و زملائي.

مقداد

مقدمة

مقدمة:

طالما شكلت الحضارات القديمة نقاط إشعاع حضاري أثرت في مسار التاريخ الإنساني، ولعل خير دليل على ذلك تلك الحضارات التي نشأت على ضفاف البحر المتوسط ، فلا يمكن الحديث عن تاريخ البحر المتوسط دون التطرق إلى الحضارة الفينيقية التي تركت بصمات واضحة في تاريخ المنطقة وحضارتها.

إن الموقع الاستراتيجي الذي احتلته بلاد فينيقيا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط وما تمتعت به من مؤهلات طبيعية متنوعة، جعل منها مهدا لحضارة عريقة استطاعت أن تؤثر في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، وكان هذا الموقع المتميز محل أطماع القوى الكبرى في المنطقة كالإمبراطوريات المصرية والآشورية والحيثية، مما جعل المنطقة مسرحا للصراعات والتفاعلات الحضارية المستمرة.

أما ما دفع الفينيقيين إلى تطوير حضارتهم المتميزة فهو طبيعة بلادهم الجغرافية التي تميزت بالسواحل الطويلة والموانئ الطبيعية، إضافة إلى الحواجز الجبلية التي جعلت مدنهم متناثرة ومستقلة، وهو ما أثر على تكوين شخصيتهم الحضارية المتفردة، ولعل ما أبدعوه في مجال الفنون والعمارة والأدب والكتابة قد كشف عن عمق هذه الحضارة وتنوع إبداعاتها وعلاقاتها الدولية، وصولا إلى نشاطها التجاري والاقتصادي الذي امتد عبر أرجاء البحر المتوسط.

لقد استطاع الفينيقيون بفضل مهارتهم في الملاحة وقدرتهم على التجارة أن يؤسسوا شبكة واسعة من المستوطنات والمراكز التجارية التي ربطت بين مختلف أطراف البحر المتوسط، ولم تكن هذه المستوطنات مجرد مراكز تجارية بل كانت مراكز إشعاع حضاري نقلت الثقافة والفنون والمعتقدات الفينيقية إلى مختلف المجتمعات، ولم تستطع أي حضارة معاصرة أن تحقق هذا الانتشار الواسع مما سمح للفينيقيين بتكوين إمبراطورية تجارية وحضارية امتدت من الشرق الأدنى إلى سواحل المحيط الأطلسي.

وحسب الدراسات التاريخية والأثرية يمتد تاريخ الحضارة الفينيقية إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، حيث تطورت هذه الحضارة عبر مراحل زمنية متعددة شهدت ازدهارا في مختلف المجالات، من النظام الاجتماعي المعقد إلى المعتقدات الدينية المتنوعة والطقوس المقدسة، كما شهدت تطورا ملحوظا في الفنون والعمارة والأدب، وصولا إلى اختراع الأبجدية التي تعتبر من أعظم إنجازات هذه الحضارة.

وعلى أساس التطور التاريخي للحضارة الفينيقية، تعتبر هذه الحضارة من أهم الحضارات القديمة التي أثرت في تشكيل الهوية الحضارية لمنطقة البحر المتوسط، حيث تضافرت عدة عوامل جغرافية وتاريخية لتجعل من الفينيقيين روادا في مجالات التجارة والملاحة والثقافة، فنشأت حولهم شبكة واسعة من العلاقات التجارية والثقافية التي أثرت على انتشار الحضارة الإنسانية في مختلف أنحاء العالم القديم.

إن الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع جعلته ينال اهتماما واسعا من طرف كبار المؤرخين والباحثين الذين أسالوا الكثير من الحبر وأثاروا العديد من النظريات، بحيث تكمن أهميته في كونه يسلط الضوء على إحدى أعرق الحضارات وأكثرها تأثيرا في التاريخ القديم، هذه الحضارة التي جابت مختلف أقطار العالم حاملة معها تجارتها وثقافتها ومعتقداتها التي أثرت في الكثير من الحضارات المجاورة، كما أن معظم الدراسات ركزت على جوانب محددة من الحضارة الفينيقية دون تقديم رؤية شاملة تجمع بين مختلف الأبعاد الحضارية.

إن الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع جعلت الكثير من التساؤلات تتبادر إلى أذهاننا اختصرناها في الإشكالية الرئيسية التالية: ما هي أبرز مظاهر الحضارة الفينيقية وكيف أثرت في تشكيل الهوية الحضارية لمنطقة البحر المتوسط؟

وتفرعت إشكاليتنا إلى عدة تساؤلات فرعية: كيف تطورت الحضارة الفينيقية عبر التاريخ؟ ما هي خصائص النظام الاجتماعي والديني الفينيقي؟ كيف ساهم الفينيقيون في التطور الاقتصادي والتجاري في البحر المتوسط؟ وما هي إسهاماتهم في مجال الفنون والثقافة واللغة؟

ولعل هذا الأمر كان من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع محاولين تقديم دراسة شاملة تجمع بين مختلف جوانب الحضارة الفينيقية وتحليل تأثيراتها الحضارية.

كما جذبنا لموضوعنا الرغبة في إثراء الرصيد المعرفي واهتمامنا بموضوع الحضارات القديمة ورغبتنا في دراستها والإلمام بإسهاماتها، وكون الموضوع في مجال تخصصنا الدراسي، إضافة إلى الحاجة لتقديم رؤية متكاملة تربط بين مختلف أبعاد هذه الحضارة العريقة.

وبالرغم من وجود دراسات سابقة تناولت موضوع الحضارة الفينيقية وتطورها عبر العصور، غير أن هذه الدراسات لم تكن شاملة بشكل كافٍ في تناول مختلف جوانب هذه الحضارة العريقة، خاصة في ربط الأبعاد الاجتماعية والدينية بالتطورات الاقتصادية والثقافية، وما حملته هذه الحضارة من تأثيرات لا يستهان بها على الحضارة الإنسانية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ولمعالجة موضوع هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج التاريخي وبعض من مستلزماته كالمنهج الوصفي، الذي أفادنا خاصة في وصف الموقع الجغرافي الفينيقي وخصائص المجتمع والمعتقدات الدينية، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في تحليل التطورات الحضارية والتأثيرات المتبادلة.

وقد قمنا بتقسيم بحثنا هذا وفق الخطة التالية:

ففي المدخل المعنون بالإطار التاريخي والجغرافي تطرقنا فيه إلى التطور الحضاري للحضارة الفينيقية والموقع الجغرافي والمؤهلات الطبيعية والتسمية وأصل السكان.

أما الفصل الأول المعنون بنشأة وتطور الحضارة الفينيقية، فتناولنا فيه النظام الاجتماعي الفينيقي والمعبودات والطقوس الدينية التي شكلت أساس الحياة الروحية والاجتماعية.

أما الفصل الثاني المعنون بالدور التجاري والاقتصادي للفينيقيين، فتحدثنا فيه عن الأسطول الفينيقي والنشاط التجاري والمنتجات الفينيقية والتبادل التجاري والمستوطنات الفينيقية وأثرها الاقتصادي.

أما الفصل الثالث المعنون بالفينيقيون في الفنون والثقافة وحضارة البحر المتوسط، فتناولنا فيه الفنون والعمارة الفينيقية والأدب والفكر الفينيقي والكتابة واللغة عند الفينيقيين.

وختمنا هذا العمل بجملة من النتائج التي تحصلنا عليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع، من بينها المصادر الكلاسيكية مثل كتابات هيرودوت في "التواريخ" وسترابون في "الجغرافيا" وبليني الأكبر في "التاريخ الطبيعي"، إضافة إلى النقوش والآثار الفينيقية المكتشفة في مختلف المواقع الأثرية.

أما بالنسبة للدراسات الحديثة، فيمكننا الإشارة إلى أعمال كل من دونالد هاردن في "الفينيقيون"، وماريا أوجين في "الحضارة الفينيقية"، وسابتينو موسكاتي في " الحضارة الفينيقية"، وغيرها من الدراسات المتخصصة التي أفادتنا في مختلف جوانب البحث.

ورغم ما بذلناه من مجهودات إلا أننا نخشى أن لا نعطي عملنا حقه من البحث، أو أن نكون قد تركنا ثغرات لم نستطع سدها وذلك لجملة من العوامل التي شكلت لنا صعوبات كبيرة لعل من أبرزها:

- قلة المصادر المكتوبة الفينيقية الأصلية وذلك لأن معظم ما وصلنا عن الفينيقيين جاء من مصادر أجنبية قد تحمل تحيزا أو عدم دقة في النقل.

- التداخل بين الحضارة الفينيقية والحضارات المجاورة مما يجعل تحديد الخصائص الفينيقية الخالصة أمرا معقدا.

- قلة الدراسات المتخصصة باللغة العربية حول بعض جوانب الحضارة الفينيقية مما اضطرنا للاعتماد على مراجع بلغات أجنبية.

- الحاجة إلى وقت أطول لدراسة هذا الموضوع الواسع والمعقد بشكل أعمق وأشمل.

الفصل التمهيدي

الإطار الجغرافي و التاريخي للحضارة الفينيقية

المبحث الأول: الاطار التاريخي

المطلب الأول:الموقع الجغرافي و المؤهلات الطبيعية

المطلب الثاني: الإطار الجغرافي الموقع والسطح

المبحث الثاني: الاطار التاريخي

المطلب الأول: أصل تسمية السكان

المطلب الثاني: أصل سكان فينيقيا

المبحث الثالث:التطور الحضاري للحضارة الفينيقية

المطلب الأول: نشأة المدن الفينيقية وتطورها السياسي

المطلب الثاني: تطور الأسطول الفينيقي

المبحث الأول: الاطار التاريخي

كانت فينيقيا حضارة سامية قديمة نشأت في شرق البحر المتوسط، وامتدت تأثيراتها إلى مناطق واسعة من شمال إفريقيا، بما في ذلك تأسيس مستعمرات مثل قرطاج، تميز الفينيقيون بثقافة غنية ومتنوعة، حيث استوعبوا عناصر من شعوب وتقاليد مختلفة، مما ساهم في خلق مساحة ثقافية فريدة . في المجال الفني، اشتهروا بإنجازاتهم في النحت على الخشب والمعادن والزجاج، بالإضافة إلى إنتاج الصبغة الأرجوانية المميزة، أما في الجانب الديني، فكانوا يعبدون العديد من الآلهة والإلهات، وكانت معابدهم مراكز دينية وثقافية هامة،كما ساهموا في تطوير الأبجدية الفينيقية، التي أصبحت أساسا للعديد من الأبجديات الأخرى. [1]

المطلب الأول:الموقع الجغرافي و المؤهلات الطبيعية:

حددت الخصائص الطبيعية والجغرافية لمنطقة الساحل الفينيقي مصيرها التاريخي فتركزت طرق المواصلات الأساسية بين ثلاث قارات في هذه المنطقة فقدر لهذه المنطقة أن تكون مسرحا لسلسلة من الهجرات والغزوات التي لم تترك فرصة دائمة لإنشاء نظم سياسية قوية متحدة، فكانت أرض تجارب للمطامع والمنافسات التجارية والسياسية والحربية للدول الكبرى المحيطة بها، ولأنها تميزت بموقع جغرافي ممتاز وضمن نطاق مناخي معتدل كانت منطقة جذب للشعوب التي تدفقت إليها مرة بعد أخرى، وذلك لأن المنطقة يمكن دخولها من كل جهة والانتقال منها في كل اتجاه، فكانت مفتوحة أمام مصر وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى وسواحل البحر المتوسط.

[1] دراز أحمد عبد الحليم، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم دار التعليم الجامعي، الإسكندرية،2010م، ص، 58،

المطلب الثاني: الإطار الجغرافي الموقع والسطح

تقع منطقة الساحل الفينيقي خريطة رقم1 شرق البحر المتوسط، وهي بذلك تتوسط قارات العالم القديم آسيا وإفريقيا ثم أوروبا [1]، وقد اختلف الباحثون حول رسم الحدود الجغرافية لفينيقيا بدقة، لأن المنطقة كانت عرضة للغزوات المختلفة خلال العصر القديم فتغيرت حدودها من فترة لأخرى[2]، حيث يرى أغلب الباحثين بأن البلاد الفينيقية هي المنطقة الممتدة من خليج الاسكندرونة شمالا إلى جبل الكرمل في فلسطين جنوبا، ومن الجبال الموازية لساحل البحر وبعض المناطق الداخلية شرقا إلى البحر المتوسط غربا، وبناء على هذه الحدود قسمت أراضي الساحل الفينيقي إلى ثلاث مناطق متوازية متجهة بموازاة البحر من الشمال إلى الجنوب، وهي ساحل وجبال ثم منطقة داخلية.

ويرى "جورج كونتينو" أن الساحل الفينيقي يمتد من خليج اسوس ثم إقليم مدينة أرواد وحوض نهر التيبر النهر الكبير شمالا إلى جبل الكرمل جنوبا ومن جبال لبنان شرقا الى البحر المتوسط غربا[3]، وبذلك يمكن حصر النطاق الجغرافي للساحل الفينيقي في المنطقة التي شملها معنى " فينيقيا" والتي تحدها شمالا وشرقا سوريا الحالية، وغربا البحر المتوسط، وجنوبا فلسطين[4].

أنظر خريطة رقم 1

---

[1] عبد المالك سلاطنية، المستوطنات الفينيقية – البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، بحث مقدم لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2009م، ص 57،

[2] أبو فاضل وهيب، موسوعة عالم التاريخ والحضارة – من الحضارة الفينيقية حتى ظهور الديانة المسيحية، ج 9، ط2، نوبلس، 2005م، ص 6،

[3] جورج كونتينو، الحضارة الفينيقية تر، محمد الهادي شعيرة ، مراجعة طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1997م ، ص 26،

[4] محمد صادق صبور، موجز تطور الحضارات الإنسانية، ط 1، دار الأمير الجيزة، مصر، 1998م، ص 109،

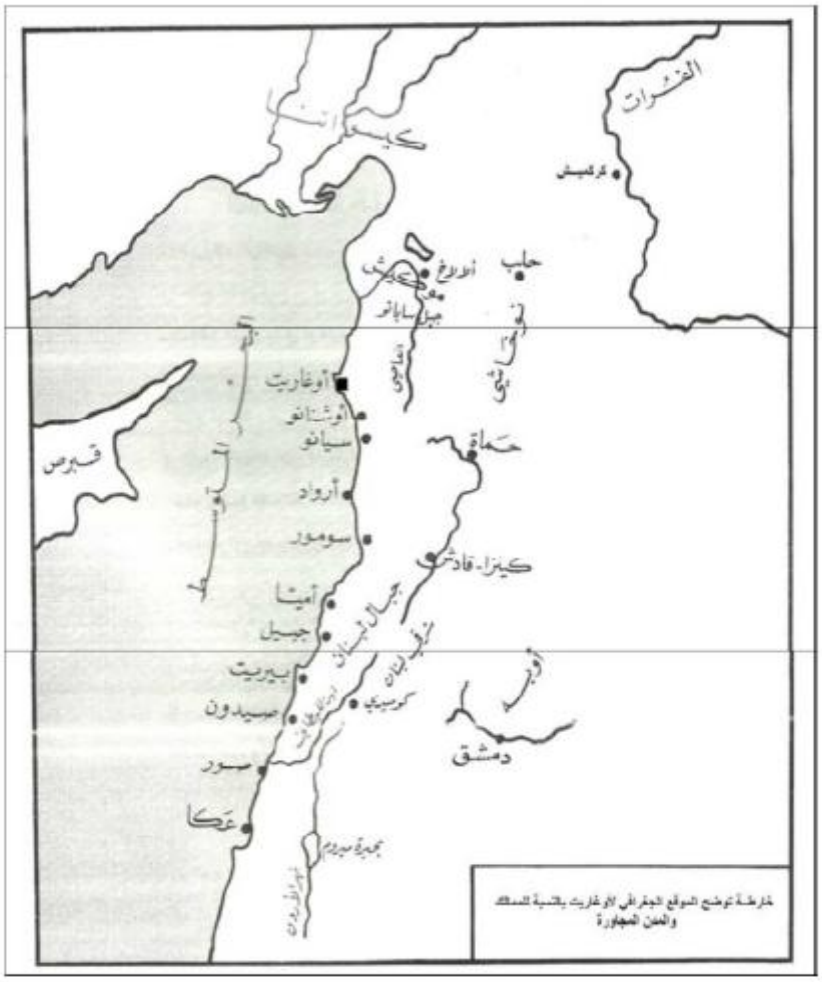

المدن الفينيقية

المرجع :إ.ش.شيفمان ، الساميون في العصور القديمة ، ترجمة حسان ميخائيل ،ط1، دار الابجدية ، دمشق، 1988، ص4

وتعرف منطقة فينيقيا حاليا باسم الساحل السوري اللبناني، هذا الأخير الذي جاء اشتقاقه من ل، ب، ن [1]، أي " الأبيض"، للدلالة على لون الثلوج التي تكسو سلسلة جبـال لبنـان لفترة طويلة

[1] ل ، ب ، ن ، وردت الكلمة بصيغ مختلفة في النقوش السامية المختلفة ، حيث عرف المكان بصيغة ، ل –أب–لا–ني ل لا–أب– نا نو في الأشورية، وبصيغة ، لا أب نانا – لاب– – أ– أن في الأكادية، وبصيغة لبنون في الآرامية، و، ل ب ن هي الصيغة النبطية للبنان، ، للمزيد أنظر ،

من السنة وهذه الجبال الممتدة من الشمال إلى الجنوب على مسافة مائة ميل وبارتفاع يصل إلى ثلاثة آلاف متر عن مستوى سطح البحر تشكل الحد الشرقي للبلاد الفينيقية، التي تمثل من الناحية الجغرافية وحدة طبيعية متميزة عن جيرانها تميزا تاما، كونها تضم سهلا ساحليا ضيقا يمتد من جبل الأقرع كاسيوس شمالا[1]، والذي يبلغ ارتفاعه 1667 متر إلى جبل الكرمل جنوبا، ومن خلفه سلسلتين من الجبال تفصلانه عن الصحراء وبقية العالم السامي من ناحية الشرق أهمها جبال أمانوس في الشمال ثم جبال الأنصارية، فجبل لبنان الذي يصل ارتفاعه إلى ثلاثة آلاف متر عند هضبة القرنة وقمته السوداء، وهذا الأخير موازيا للساحل حيث لا يبعد سفحه عن البحر أكثر من بضعة كيلومترات، وهذا ما جعل الشريط الساحلي مقسما بالطول إلى عدة أقسام تفصلها عن يتراوح ما بين 9 و50 كلم[2]، تتخللها رؤوس صخرية تتغلغل إلى الداخل في مياه البحر، وبذلك فهي تمثل حاجزا طبيعيا يصعب المرور عبره، وإلى الشرق من جبال لبنان الغربية تمتد سلسلة الجبال الداخلية الموازية للأولى والتي يقدر ارتفاع بعض قممها 2860 متر مثل قمة الهرمن الكبير la grand Hermon [3] وينحصر بين السلسلتين الجبليتين السهل الذي يعرف اليوم بسهل البقاع، والذي يبلغ طوله 112 كلم ويتميز بتربته المتنوعة والخصبة، وهو في الواقع منخفض تجمعت به رواسب حملتها عوامل التعرية والارساب من الجانبين[4]، أما السهل الساحلي فهو يتكون من رواسب بحرية

الذبيب سليمان عبد الرحمن، " الأوجاريتيون والفينيقيون " مجلة الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار السابع عشر، جامعة الملك سعود، الرياض، ربيع 1425هـ ماي 2004م ، ص 43،

[1] جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 31

[2] بيومي مهران، المدن الفينيقية، تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1994م، ص22،

[3] جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 27 ،

[4] محمد السيد غلاب، تاريخ الشرق الأدنى القديم ،القاهرة، دار النهضة العربية، 1995، ص ،76

وطينية وكثبان رملية متحركة، وهو يتسم بضيق مساحته لانحصاره بين الجبال والبحر، والأراضي الصالحة للزراعة به قليلة وهي تمتد في الشمال قرب مصب نهر اليتير، وفي الجنوب قرب عكا بالإضافة إلى سهل صور وصيدا[1].

واعتبارا من أن الصفة التضاريسية الغالبة على سطح فينيقيا هي الجبال، نلاحظ أن امتدادها الموازي للبحر والقرب منه جعلها تنعكس على أودية المنطقة التي اتسمت بكثرتها وقصر طولها، واختلاف نظام تصريفها المرتبط أساسا بالمواسم المطيرة حيث يرتفع منسوب مياهها في فصل الشتاء المطير ويقل جريانها أو تجف في الفصول الجافة[2].

أما في الإقليم الواقع بين سلسلتي جبال لبنان يجري نهران أولهما نهر الأورنت العاصي والذي ينبع من جبال لبنان الشرقية بالقرب من بعلبك ثم يتجه شمالا مخترقا أرض سوريا ويصب في البحر المتوسط[3]، والنهر الآخر نهر ليوتنيس الليطاني الذي يتجه نحو الجنوب ويصب في البحر المتوسط بين صيدا وصور، ويسمى في هذه المنطقة نهر القاسمية[4].

أما مناخ الساحل الفينيقي فهو على العموم معتدل، ذلك أن المنطقة تقع فلكيا ضمن النطاق المناخي المعتدل أي أنها تنحصر ما بين خطي عرض 3338 شمالا، ونظرا لقرب المنطقة من الساحل

---

[1] سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، تر ، نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1988م، ص 23

[2] محمد الخطيب، الحضارة الفينيقية، منشورات دار علاء الدين، ط2، سورية، 2007م، ص24

[3] جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 28

[4] أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم – مصر والعراق سوريا – اليمن – ايران، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1963م، ص 54

المتوسطي ساد أرضها مناخ البحر المتوسط الذي تكاد تنعدم فيه الفوارق الفصلية وتنقسم السنة فيه إلى فصلين رئيسيين هما: الصيف الذي يتميز بجفافه وحرارته المرتفعة، والشتاء الممطر الدافئ [1].

المبحث الثاني: الاطار التاريخي:

المطلب الأول: أصل تسمية السكان:

يرتبط اسم كل شعب من الشعوب في غالب الأحيان باسم المنطقة التي عمر فيها وأحيانا أخرى يسمى الشعب بأصله نسبة لشخص ما تفرع نسله، وقد تبرز الزعامات الفردية في ارتباط الشعب بمن وحده أو باسم شخص قاده نحو الانتصار، وفي المقابل نجد بعض المناطق تخلد باسم الأقوام التي استوطنتها، وتسمية فينيقيا أو الفينيقيين قد اختلف الباحثون بشأن مدلولها من جهة وحول من أخذ الاسم أولا السكان أو الأرض من جهة أخرى، وهنا يجدر بنا عرض النظريات التي تضمنتها المصادر المختلفة بشأن تسمية الفينيقيين أو فينيقيا ومن ثم يمكن الوقوف على الحقيقية التي نبحث عنها ولو بشكل نسبي.

فتسمية الفينيقيين أطلقت قديما على الشعوب السامية[2]، التي كانت تقطن الساحل السوري بين جبل الأقرع في الشمال وجبل الكرمل في الجنوب[3].

---

[1] محمد صغير غانم، *التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط* ،لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، د،ت، ، ص 16

[2] الساميون، مصطلح أطلق على المجموعة البشرية التي عاشت على الأرض الممتدة بين جنوب غرب آسيا ومعظم أقطار شمال إفريقيا، أي المنطقة التي تضم أقطار العالم العربي لامتيازها بمظاهر حضارية موحدة، كالأصل اللغوي الذي يمثل الثقافة الظاهرة في النحو والصرف والمفردات وكذلك وحدة العقلية والتفكير، إضافة إلى العادات والتقاليد للمزيد أنظر محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص 205

[3] Pierre Vidal Naquet, Histoire de l'humanité, de la Préhistoire, a la fin xx2 Edition, hachette, Paris, 1987,p24

وكان الفينيقيون لا يعرفون وطنهم بهذا الاسم ولكن الإغريق هم من أطلقوا مصطلح "الفينيقيين" Phonikes عليهم وهي تعني اللون الأحمر الأرجواني، ووردت هذه التسمية عند الشاعر الإغريقي هوميروس حيث وصف الفينيقيين بالمهارة في ركـوب البحر والصناعات اليدوية[1].

ويرى "موسكاتي" أن لفظ الفينيقيين يرجع إلى الألف الثانيـة قبل الميلاد، وكانت اللفظة تدل على الأشخاص واللون، وصلتها مرتبطة بكلمة فوينيكس Phonix ، وهي كلمة إغريقية ومعناها الأرجوان[2]، وفي ذات السياق يعـرض "بلـين الكبير" نظريتين حول اسم الفينيقيين" هما:

النظرية الأولى : تقول أن اسم الفينيقيين مرتبط بكلمة النخيل دلالة على وفرة أشجار النخيل" بالمنطقة.

النظرية الثانية: وتنسبهم إلى لون صباغة الأرجوان الذي اشتهروا بصناعته[3].

وكلا النظريتين يقول بهما العلماء القدماء والمحدثين، فقول الأولى مقتضاه أن اسم "فونيكي إغريقي تأويله النخيل، وسميت هذه البلاد به لكثرة أشجار النخيل فيها، ويؤيـد ذلك وجود صورة هذه الشجرة على بعض المسكوكات القديمة في فينيقيا وعلى نقود بعض مستوطناتها.

وقول الثانية وهو قريب من الحقيقة، ذلك أن الإغريق ربطوا تسمية السكان بلون صباغة الأرجوان الذي كان من مصنوعات الفينيقيين وسلع تجارتهم[4].

والذي أورده جواد بولسJawad Boulos بذات التسمية يتفق والنظرية الثانية، حيث يقول: أن الفينيقيين كانوا يتقنون صناعة الأرجوان Pourpre الذي يستخرج من صدف المريق

---

[1] هوميروس، الأوذيسة، تر: دريني خشبة، دار المعارف، القاهرة، 1970م، ص 167

[2] محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص13

[3] Pline l'ancien, histoire naturelle, XXII Panckoucke-Paris, 1829 ،p3،

[4] سامي ريحانا، شعوب الشرق الأدنى، نوبلس، د ت، ص 183

Murex[1]، فكانت شراع السفن الراسية في المرافئ الفينيقية مصبوغة باللون الأحمر الأرجواني، مما أدى بالإغريق الى إطلاق هذه التسمية على البحارة والتجار الفينيقيين[2].

ومن ثم فسر العلماء إطلاق الإغريق الاسم "فينيقيا والفينيقيين" نظرا لاشتهار هذا الشعب بصناعة الأقمشة وإنتاج هذا النوع من الصباغة ذات اللون الأحمر الأرجواني وكان الفينيقيون يقومون باستخلاص صباغة الأرجوان من قواقع البحر المتوسط.

ويرى "محمد أبو المحاسن عصفور" أن التسمية الإغريقية أخذت من كلمة "فنخو" Poeni التي استعملها المصريون منذ عهد الدولة القديمة للدلالة على شعب من الإقليم السوري، وأولت من قبل الإغريق إلى " قوينكس" Phoinikes للدلالة على فينيقيا، و"فويفيكن" Phoiviken للدلالة على الفينيقيين[3].

كما أن لفظة "كيناخو" الواردة في نصوص مدينة نوزي" العراقية تشير إلى أن اللون الأحمر الأرجواني، وهنا يرتبط المعنى بصناعة استخراج الأرجوان التي مارسها الكنعانيون بسواحل البحر المتوسط.

---

[1] الموريق، حيوان بحري من الرخويات كان متوفر بكثرة بالساحل الشرقي للبحر المتوسط، والموريق الميت يفرز ساءلا إذا وضع على مادة بيضاء اصطبغت باللون البنفسجي، وتبعا لكثافة السائل ولمدة تعرضه للشمس يتحول اللون من القرمزي الى البنفسجي الداكن،،للمزيد أنظر ، سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص ص 143-144

[2] Jawad Boulos, les peuple et les civilisations du proche Orient, Tome 1,mouton et co grauenage ,Paris,1961,p215

[3] عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق ص 75

المطلب الثاني: أصل سكان فينيقيا:

كثرت بحوث المؤرخين وتضاربت آراؤهم حول الأصل الذي ينتمي إليه الفينيقيون فقد أشارت المصادر الكتابية على أن الفينيقيين ينحدرون من الكنعانيين الذين هم حاميون، أي أبناء كنعان ابن حام ابن نوح[1].

ويرى " خزعل الماجدي" بأن الكنعانيين هم من قبيلة سامية كبيرة نزحت على الأرجح خلال الهجرة السامية الكبرى، وكان منها الأموريون" الذين استوطنوا في داخل سوريا الحالية[2]، وتأثرت ثقافتهم تأثرا كبيرا ببلاد الرافدين، وكان ضمن هذه الهجرة أيضا الكنعانيون الذين استوطنوا الشاطئ وتأثرت ثقافتهم بحضارة مصر، وأن تسمية الكنعاني مشتقة من أصل سامي هو خنع قنع كنع إشارة إلى صفة الأراضي المنخفضة، فاسم الكنعانيين يعني سكان الأراضي المنخفضة وظل هذا الاسم يرد في الوثائق، وإن كان متفرقا على مر العصور، وخاصة في الكتاب المقدس[3].

ويقول أنطوان مورتقات بخصوص الكنعانيين نقلا عن أحمد داوود: «إننا نعلم من خلال الحفريات التي أجريت في جبيل أن أناسا ساميين غربيين قد قطنوا سوريا على الأقل منذ نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، وأن هؤلاء كانوا على قرابة من الفئة التي حكمت بلاد ما بين النهرين منذ سلالة حمورابي"، أما من ناحية التسمية الخاصة فأطلق على هؤلاء الساميين في سوريا اسم

[1] كارل هاينز برفرت، لبنان القديم، تر ميشيل كيلو، مراجعة زياد منى، قدمس للنشر والتوزيع، سوريا، 1999م، ص 101

[2] خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2001م، ص 18

[3] أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر وسوريا القديمة – دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص 272

الكنعانيين[1]، وكذلك ينتسب الفينيقيون الأوائل أي سكان السهل الضيق ما بين لبنان والبحر إلى هذه المجموعة السامية الغربية»، وهناك من يدعم نسبة الكنعانيين إلى العنصر الحامي.[2]

والكنعانيون نشأوا أساسا في وادي الرافدين كغيرهم من الأقوام السامية وأنهم كانوا مع الأموريين كتلة واحدة، وفي حدود 3500 ق.م انقسم الشعب الأموري إلى ثلاثة أقسام، قسم اتجه إلى شمال العراق وسوريا، والأموريون الذين سكنوا إلى الغرب من الفرات، أما القسم الثالث من الأموريين فكانت وجهتهم نحو نهر الفرات الجنوبي وبمحاذاة سواحل خليج العجم من جهة بلاد العرب، وهم الذين أطلق عليهم بعد ارتحالهم إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط اسم الكنعانيين أو الفينيقيين[3].

دخل الكنعانيون إلى الساحل الفينيقي عن طريق شمال سوريا والبقاع، على شكل قبائل بدوية، وموطنهم الأول هو الساحل الشرقي للجزيرة العربية، حيث وجد به على اسم جزيرتين وهما صور وأرواد، وقد عثر فيهما على هياكل تشبه الهياكل الفينيقية، كما أن هناك إحدى الجزر الواقعة في دولة البحرين حاليا عثر فيها على قبور شبيهة بالقبور الفينيقية[4].

---

[1] معجم الحضارات السامية، ط2، مطبعة جروس بيرس، ص ص 363-364

[2] انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تر:، فاضل عبد الواحد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988،ص،89

[3] ول ديورانت، قصة الحضارة، ج2، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة، 1988م، ص 310

[4] خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 19-20

وتجدر الإشارة الى أن "هيرودوت" Herodote قد اعتبرهم من سواحل البحر الأريتيري، بينما "سترابون" strabon فقد أورد قائلا: « إن مقابر سكان الخليج الفارسي تتشابه ومقابر الفينيقيين، ويذكرون أن أسماء جزائرهم إنما هي أسماء فينيقية»[1].

ويذكر "سامي ريحانا" أن الكنعانيين قطنوا أولا بجانب الكوشيين" شرق بلاد العرب، وأن الداعي إلى هجرتهم هو تعرض بلادهم للزلازل التي أكرهتهم على الاغتراب في موطنهم الثاني، في حين يرى أحد الباحثين أن الكنعانيين طردوا من أوطانهم للعديد من النزاعات[2]

والموضوعي الذي يتفق حوله المؤرخون القدامى، والمحدثون أن الفينيقيين حلوا بالساحل الكنعاني الذي حمل اسمهم لتوفر شروط معيشتهم، لكن الاختلاف بينهم كان حول الموطن الذي جاؤوا منه، وهنا نرى أن هيرودوت قد اعتقد بأن الكنعانيين انتقلوا من الساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية، أخذا في ذلك التشابه في الأسلوب التجاري للكنعانيين وسكان هذا الساحل، بخلاف غيرهم من شعوب شبه الجزيرة العربية، ولهذا التشابه ربط بين الفينيقيين والبحر الإيريتيري[3].

أما موسكاتي فإننا نبعد رأيه اعتبارا من أن الظهور الآرامي داخل سوريا هو الذي دفع الفينيقيين إلى الاستقرار في الساحل الكنعاني، إضافة إلى أن قبائل الفلسطو كانت هجرتهم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أي بعد ظهور الفينيقيين بألف عام أو أكثر[4].

---

[1] صقر جوزيف، موسوعة قصة وتاريخ الحضارة العربية بين الأمس واليوم، بيروت، 1999م، ص ص 45- 46

[2] سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 178

[3] Justin, histoire universelle, tome II, XVIII, traduction J، Pierrot et ,E boitard Edition Panckoucke, Paris 1933,p 45

[4] سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 20،

وللتوضيح أكثر عن هجرات الكنعانيين إلى سوريا ولبنان، يمكن ترتيبها زمنيا كما يلي:

سنة 3500 ق.م هجرة سامية أولى إلى بلاد الرافدين حملت الأكاديين والبابليين إليها.

سنة 3000 ق. م هجرة سامية ثانية حملة الأموريين إلى سوريا الشمالية، والكنعانيين إلى السواحل اللبنانية السورية.

سنة 1500 و1200 ق.م هجرة سامية ثالثة حملة الآراميين والعبرانيين إلى سوريا المجوفة وفلسطين، ومن المعتقد أن الكنعانيين حلوا في لبنان وسوريا بين سنة 2300 و2250 ق.م وهذا التاريخ يطابق عصر ثورة العلاميين على الكوشيين في بابل[1].

المبحث الثالث:التطور الحضاري للحضارة الفينيقية

المطلب الأول: نشأة المدن الفينيقية وتطورها السياسي

نشأت المدن الفينيقية على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، في منطقة تمتد اليوم عبر لبنان وأجزاء من سوريا وفلسطين. تعود بدايات تأسيس هذه المدن إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، حيث ظهرت مدن رئيسية مثل جبيل (بيبلوس)، وصيدا، وصور، وأرواد، والتي أصبحت لاحقا مراكز حضارية وتجارية هامة، وقد تميزت هذه المدن بموقعها الجغرافي الاستراتيجي، إذ وفرت السهولة في الاتصال البحري مع مناطق البحر المتوسط المختلفة، مما ساعد في تطور النشاط التجاري والبحري للفينيقيين بشكل كبير.[2]

[1] سامي ريحانا، المرجع السابق، ص ص 178-179

[2] جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، تر:، كمال قبيسي بيروت، دار الكتاب العربي، 1993، ص 21

من الناحية السياسية، لم تعرف المدن الفينيقية الوحدة السياسية المركزية، بل كانت كل مدينة تدار بشكل مستقل كدولة مدينة، يحكمها ملك محلي غالبا ما كان نفوذه مقيدا بسلطة العائلات التجارية الثرية. هذا النظام السياسي أتاح مرونة لهذه المدن في التكيف مع المتغيرات الإقليمية، كما ساعدها على الحفاظ على استقلالها النسبي رغم تعرضها للغزو أو النفوذ الأجنبي من قوى كبرى كالمصريين، الحيثيين، الآشوريين، الفرس، ثم الإغريق والرومان.[1]

شهدت المدن الفينيقية فترات من الاستقلال والازدهار خاصة بعد تراجع الهيمنة المصرية والحيثية في نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد، مما سمح لها بتوسيع شبكاتها التجارية وتأسيس مستعمرات في أنحاء المتوسط مثل قبرص وصقلية وسردينيا وشبه الجزيرة الإيبيرية. ومع ذلك، ظلت هذه المدن عرضة للتهديدات الخارجية، فخضعت في مراحل متعاقبة لسيطرة قوى إقليمية، لكنها غالبا ما احتفظت بدرجة من الحكم الذاتي، خاصة في إدارة شؤونها التجارية والثقافية.[2]

لقد أسهم هذا النظام السياسي المحلي المستقل، إلى جانب الموقع الجغرافي والمهارات البحرية، في جعل المدن الفينيقية مراكز حضارية نابضة بالحياة والتجارة والثقافة، وترك بصمة واضحة في تاريخ البحر المتوسط القديم.

أ- النشاط التجاري

لعب النشاط التجاري والبحري دورا أساسيا في بناء قوة الفينيقيين الحضارية، ويمكن شرح ذلك عبر ثلاث محاور رئيسية:

---

[1] جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ص 52

[2] وريدة علي محمد المنقوش، الحياة السياسية في قرطاجة من التأسيس حتى نهاية الحرب البونية الثالثة مذكرة ماجستير، جامعة 7 أكتوبر، مصراتة، 2011، ص 15

المطلب الثاني: تطور الأسطول الفينيقي

اعتمد الفينيقيون بشكل كبير على البحر، فقاموا بتطوير صناعة السفن حتى أصبح أسطولهم من الأقوى والأكثر تطورا في العالم القديم. استغلوا غابات الأرز في لبنان لصناعة سفن متينة وقادرة على الإبحار لمسافات طويلة، كما طوروا تصاميم السفن بحيث تكون سريعة وملائمة لنقل البضائع والأشخاص، امتلك الفينيقيون نوعين رئيسيين من السفن: سفن تجارية كبيرة لنقل السلع، وسفن حربية لحماية قوافلهم التجارية من القراصنة والأعداء. هذا التطور منحهم القدرة على السيطرة على مساحات واسعة من البحر المتوسط، وربط مدنهم الساحلية ببعضها ومع العالم الخارجي، كما مكنهم من استكشاف مناطق جديدة وتوسيع نشاطهم التجاري[1].

أ–الطرق التجارة البحرية وأهم السلع

أنشأ الفينيقيون شبكة واسعة من الطرق البحرية، امتدت من سواحل الشام إلى مصر وقبرص وآسيا الصغرى، ثم غربا إلى جزر المتوسط مثل صقلية وسردينيا ومالطا، ووصولا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية والسواحل الأطلسية. كانوا يبحرون في مواسم محددة لتجنب العواصف، ويعتمدون على الجزر كمحطات للتزود بالمؤن والتبادل التجاري.

أما السلع التي اشتهروا بتجارتها، فشملت الأخشاب (خاصة الأرز والصنوبر)، الأصباغ الأرجوانية التي استخرجت من أصداف بحرية وكانت رمزا للثراء والسلطة، الزجاج، المعادن كالفضة والقصدير

[1] أشلاف فطومة الصناعات الحرفية الفينيقية ،1200 ق، م – 332 ق،م، مذكرة ماجيستر في التاريخ القديم، قسم التاريخ،جامعة الجزائر الجزائر، 2009 ، ص 16

والنحاس، الحبوب، العاج، والمنسوجات الفاخرة. وقد لعب الفينيقيون دور الوسيط بين حضارات الشرق الأدنى ومناطق الغرب، فنقلوا البضائع والمعرفة والثقافة بين شعوب المتوسط[1].

ب–تأسيس المستوطنات (قرطاج، مالطا، صقلية، إسبانيا):

لم يكتف الفينيقيون بالتجارة فقط، بل أسسوا مستعمرات في مواقع استراتيجية على طول طرقهم البحرية، كانت هذه المستوطنات في البداية محطات تجارية صغيرة، ثم تحولت إلى مدن مزدهرة ذات استقلال نسبي، من أبرز هذه المستوطنات قرطاج في تونس، التي أصبحت لاحقا قوة بحرية وتجارية كبرى، وكذلك قادس في إسبانيا، ومالطا، ومستعمرات في صقلية وسردينيا.

لعبت هذه المستوطنات دورا هاما في تأمين طرق التجارة، وتوسيع النفوذ الفينيقي، ونشر الثقافة واللغة الفينيقية في غرب المتوسط. كما شكلت مراكز للتبادل التجاري بين الفينيقيين والشعوب المحلية، وأسهمت في استمرار التأثير الفينيقي حتى بعد تراجع مدن الساحل الشامي.[2]

[1] ويل ديورانت، قصة الحضارة، ج1،، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2001، ص 253

[2] عبد المالك سلطانية، الفينيقيون وحضارتهم ، دار الهدى، الجزائر ، 2010، ص 104

الفصل الاول:
المظاهر الحضارية الدينية عند الفينيقيين

المبحث الأول: النظام الاجتماعي

المطلب الأول: الطبقات الاجتماعية

المطلب الثاني: دور المرأة في المجتمع الفينيقي

المطلب الثالث: العلاقة بين الطبقات والديانة

المبحث الثاني: المعبودات

المطلب الأول: الآلهة الرئيسية

المطلب الثاني: آلهة المدن المختلفة

المطلب الثالث: التطور في المعتقدات الدينية

المبحث الثالث: الطقوس الدينية

المطلب الأول: طقوس العبادة والتضحية

المطلب الثاني: المعابد والهياكل

المطلب الثالث: المواسم الدينية والاحتفالات

المبحث الأول: النظام الاجتماعي

انقسم المجتمع الفينيقي إلى ثلاث طبقات اجتماعية متمايزة تعكس التنظيم الهرمي للحضارة الفينيقية شكلت الطبقة العليا قمة الهرم الاجتماعي وضمت العائلة الملكية والنبلاء والتجار الأغنياء الذين شاركوا في الحكم هؤلاء الأفراد كانوا يمتلكون السلطة السياسية والاقتصادية، وكانوا في المقدمة من حيث المشاركة في الطقوس الدينية المهمة والتبرع للمعابد كان لهذه الطبقة دور محوري في تنظيم الاحتفالات الدينية الكبرى وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بالشؤون الدينية للمدينة[1].

المطلب الأول: الطبقات الاجتماعية

اتسم المجتمع الفينيقي ببنية هرمية معقدة تركت آثارا عميقة على التنظيم السياسي والاقتصادي والديني تشير النقوش الأثرية والمصادر التاريخية إلى تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات رئيسية، مع وجود تفاصيل دقيقة تكشف عن ديناميكيات التفاعل بينها:

1. **الطبقة العليا** :ضمت العائلة المالكة والنبلاء وكبار الكهنة والتجار الأثرياء الذين سيطروا على مقاليد الحكم والسياسة الخارجية كان الملك يعتبر ممثلا للإله على الأرض، يجمع بين السلطتين الزمنية والدينية، حيث مارس دور الكاهن الأعلى في الطقوس الرئيسية تمتع أفراد هذه الطبقة بامتيازات اقتصادية كالسيطرة على طرق التجارة البحرية وامتلاك الأراضي

[1] عبد المالك سلاطنية، المستوطنات الفينيقية البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، مذكرة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص 122

الزراعية الخصبة، كما مارسوا نفوذا مباشرا على إدارة المعابد التي كانت مراكز اقتصادية وسياسية.[1]

2. **الطبقة المتوسطة** :شملت الحرفيين المهرة وصغار التجار والموظفين الإداريين شكل هؤلاء العمود الفقري للاقتصاد من خلال إنتاج السلع الفاخرة مثل الزجاج المصقول في صيدا والأقمشة الأرجوانية في صور، والتي كانت تصدر عبر شبكات تجارية تمتد من بريطانيا إلى الخليج العربي تميزت هذه الطبقة بقدر محدود من الحراك الاجتماعي، حيث سمحت الثروة المكتسبة من التجارة لبعض أفرادها بالارتقاء إلى النخبة، خاصة في المستوطنات الغربية مثل قرطاج حيث ظهرت برجوازية تجارية جديدة.

3. **الطبقة الدنيا** :تألفت من الخدم والعبيد الذين تحملوا الأعمال الشاقة في الزراعة والبناء دون تمتع بحقوق قانونية تشير النقوش إلى أن العبيد كانوا يشترون من أسواق البحر الأسود أو يأسرون خلال الحروب، وقد استخدموا في تشييد المشاريع الضخمة كالمعابد والأساطيل البحرية.[2]

التفاعلات الطبقية والامتيازات الدينية

ارتبطت المكانة الاجتماعية بشكل وثيق بالمشاركة الدينية ففي طقوس التضحية الكبرى، كان النبلاء وحدهم يسمح لهم بدخول قدس الأقداس في المعابد، بينما اقتصر دور العامة على المراسم

[1] خديجة منصوري ،" الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة " مجلة دراسات إنسانية ، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة الجزائر ، ع2، 2002، ص 158

[2] خديجة منصوري، المرجع السابق، ص159-160

الخارجية كما انعكس التراتب الاجتماعي على طقوس الدفن؛ حيث دفن الملوك في توابيت حجرية منقوشة بنصوص هيروغليفية مستوحاة من مصر، بينما دفن عامة الشعب في مقابر جماعية بسيطة[1].

الأدوار الاقتصادية المتميزة.[2]

سيطرت الطبقة العليا على تجارة المواد الخام الاستراتيجية مثل خشب الأرز من جبيل والنحاس القبرصي، مما مكنهم من عقد تحالفات تجارية مع الإمبراطوريات المجاورة في المقابل، برع الحرفيون في الصناعات التحويلية، حيث تشهد الأختام الأسطوانية من أوغاريت على مهارتهم في النقش الدقيق الذي جعل منتجاتهم تصدر حتى إلى بلاد ما بين النهرين[3].

التطورات التاريخية في البنية الطبقية

شهدت الفترة الفارسية تحولا تدريجيا مع صعود طبقة إدارية جديدة من الكتبة والمترجمين الذين سهلوا التفاعل مع السلطات الإمبراطورية، مما قلص نفوذ النخبة التقليدية في قرطاج، أدى ازدهار التجارة إلى ظهور طبقة برجوازية ثرية تحدت سلطة الملوكالكهنة، مما أسفر عن نظام حكم أكثر جماعية يعتمد على مجالس الشيوخ[4].

---

[1] محمد حسن، الحضارات القديمة في شمال أفريقيا بيروت، دار النهضة العربية، 1985، ص 156

[2] سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، ج3 ،القاهرة، مكتبة الأسرة، 2001، ص 289

[3] محمد عادل الرحال، صناعة المعادن وتجارتها في مملكة أوغاريت ،دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2018، ص 127

[4] فؤاد صفر، تاريخ العراق القديم ،بغداد، دار الحرية للطباعة، 1979، ص 198

المطلب الثاني: دور المرأة في المجتمع الفينيقي

تمتعت المرأة الفينيقية بمكانة اجتماعية ودينية متميزة تجاوزت في كثير من الأحيان نظيرتها في الحضارات المعاصرة، حيث شاركت بفعالية في مجالات متعددة مثل الدين والسياسة والاقتصاد تشير النقوش الأثرية والمصادر التاريخية إلى أن النساء كن عناصر فاعلة في الطقوس الدينية، بل وحتى في إدارة الشؤون العامة، مما يعكس طبيعة المجتمع الفينيقي الذي سمح بدرجة ملحوظة من المشاركة النسائية مقارنة بثقافات البحر المتوسط القديمة[1].

لعبت النساء دورا محوريا في المجال الديني، حيث شغلن مناصب كاهنات في معابد الآلهة الأنثوية مثل عشتروت، والتي ارتبطت بالخصوبة والحب تشهد النقوش في معبد أشمون بصيدا(انظر ملحق رقم1) على وجود نساء من العائلات الملكية قدمن تمويلا لبناء المعابد وأشرفن على الطقوس المرتبطة بأسطورة أدونيس، والتي تضمنت مراسم حداد وولادة جديدة ترمز إلى تجدد الطبيعة كما تظهر التماثيل والفخاريات المكتشفة في مواقع مثل قرطاج وصيدا مشاركة النساء في الرقص والعزف خلال الاحتفالات الدينية، مما يؤكد دورهن في الحفاظ على التقاليد الروحية في بعض الطقوس، مثل تلك المرتبطة ببعلة جبيل، كانت النساء يقمن بتقديم القرابين ويشاركن في "الولائم المقدسة " (*marzeh*)التي عززت التماسك الاجتماعي بين العائلات النخبوية[2].

[1] محمد بيومي مهران، تاريخ الشرق الأدنى القديم ،الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992، ص 245

[2] جيرهارد هيرم، الفينيقيون، الأرجوان والذهب، تر: محمد التونجي ،دمشق، دار طلاس للدراسات والتر:، 1988، ص 167

برزت أسماء نساء فينيقيات في السجلات التاريخية كقائدات سياسيات، منهن الملكة "أليسار" (ديدو)، التي أسست قرطاج وهربت من طغيان أخيها بيغماليون في صور، وفقا للروايات الأسطورية التي خلدها فرجيل في الملحمة الأنيادة كما حكمت الملكة "أونمياشتارت" صيدون كوصية على عرش ابنها ياتون ملك خلال القرن الخامس قبل الميلاد، مما يشير إلى قبول اجتماعي لدور المرأة في السلطة في السياق الديني السياسي، كانت بعض النساء مثل "جيزابل" (إيزابيل)، الأميرة الصيداوية التي تزوجت الملك آخاب ملك إسرائيل، ناقلة للتأثيرات الثقافية والدينية الفينيقية إلى المجتمعات المجاورة، على الرغم من تصويرها سلبيا في المصادر التوراتية بسبب صراع الهويات[1].

إلى جانب المشاركة في التجارة العائلية، خاصة في صناعة الأقمشة الأرجوانية والزجاج، تمتعت نساء النخبة بحقوق الملكية، حيث تظهر الوثائق من إيداليون كيف كن يملكن الأراضي ويؤجرنها، ويشاركن في إدارة الثروات العائلية كما تشير الدراسات الجينية إلى هجرة النساء الفينيقيات مع الرجال خلال التوسع الاستيطاني نحو غرب المتوسط، مما يدل على دورهن في بناء المجتمعات الجديدة ونقل التقاليد في الحياة اليومية، عكست المنحوتات مشاهد من الولائم حيث تجلس النساء إلى جانب الرجال بسلاسة، بينما كن يلتزمن بالزي المحتشم الذي يغطي الجسم بالكامل في الأماكن العامة، مما يوازن بين الحرية الاجتماعية والضوابط الثقافية[2].

انعكس تقدير المرأة في المجتمع من خلال التمثيل القوي للآلهة الأنثوية في البانثيون الفينيقي، مثل عشتروت وعناة، اللتين ارتبطتا بالحرب والخصوبة هذه الرمزية الدينية عززت شرعية الأدوار

[1] فرجيليوس، الإنيادة، تر: أحمد عتمان ،القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 234

[2] جان مازار، آثار أرض الكتاب المقدس، تر: بهيج شعبان ،بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1988، ص 189

النسائية في الواقع، حيث أصبحت الكاهنات وسيطات بين العالمين الأرضي والإلهي، وحاميات للأسرار الدينية كما حملت العديد من النساء أسماء مستمدة من الآلهة، مثل "عشترت" و"بعلة"، مما يعكس الاندماج بين الهوية الفردية والرمزية الدينية. [1]

هذه الأدوار المتشابكة للمرأة الفينيقية بين المقدس والدنيوي، والسياسي والاقتصادي تظهر مجتمعا معقدا تخطى النمطية الذكورية السائدة في العصور القديمة، مع تركيزه على التوازن بين السلطات وتقاطع الهويات.

المطلب الثالث: العلاقة بين الطبقات والديانة

ارتبط النظام الاجتماعي الفينيقي بالديانة ارتباطا عضويا، حيث شكلت المعتقدات الدينية الإطار الأيديولوجي الذي شرعن التراتبية الطبقية وحافظ على استقرارها تشير النقوش الأثرية من مدن مثل صور وصيدا إلى أن الكهنة، الذين انحدر معظمهم من العائلات الملكية أو النبيلة، كانوا يعتبرون وسطاء بين العالم البشري والإلهي، مما منحهم سلطة مطلقة في تفسير إرادة الآلهة وتوجيه القرارات السياسية الملك نفسه، بصفته الكاهن الأعلى للإله الحامي للمدينة (مثل ملقارت في صور)، كان ينظر إليه كممثل للإله على الأرض، مما جعل سلطته الدينية والسياسية وجهين لعملة واحدة. [2]

كانت المعابد مراكز اقتصادية كبرى تتحكم في الثروات الزراعية والتجارية تظهر النقوش من معبد أشمون في صيدا كيف أن النخبة التجارية كانت تقدم تبرعات ضخمة من الفضة والذهب لدعم

[1] جيرهارد هيرم، المرجع السابق، ص 169

[2] محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار الثقافة العربية، 2002، ص، 143

الطقوس وإعادة بناء الهياكل الدينية، مما عزز مكانتها الاجتماعية هذه التبرعات لم تكن أعمالا خيرية فحسب، بل استثمارات سياسية تهدف إلى كسب رضا الآلهة وضمان الشرعية الدينية للنخبة الحاكمة في المقابل، كان الكهنة يمنحون البركات الإلهية للتجار، مما يضمن نجاح رحلاتهم البحرية وازدهار تجارتهم[1].

مارست النخبة الحاكمة طقوس التضحية البشرية ثم الحيوانية كآلية للترهيب الرمزي تشير النصوص الكلاسيكية والبقايا الأثرية في قرطاج إلى أن هذه الممارسات، وإن كانت مثيرة للجدل، كانت تستخدم لتعزيز الخوف من السلطة الإلهية التي يمثلها الحكام في الوقت نفسه، سمحت الطقوس الجماعية مثل "الولائم المقدسة (*marzeh*) "بتعزيز التماسك الاجتماعي بين الطبقات، حيث كانت تنظم ولائم مشتركة تحت إشراف النخبة، مما خلق وهما بالمساواة المؤقتة[2].

انعكس التمايز الطبقي في الممارسات الدينية بشكل صارخ ففي طقوس الدفن، دفن الملوك في توابيت من الرخام المنقوش برموز إلهية، بينما اقتصر العامة على مقابر جماعية بسيطة حتى في الحياة اليومية، كان دخول قدس الأقداس في المعابد حكرا على النبلاء، بينما اقتصر العامة على الساحات الخارجية، مما عزز فكرة التفوق الطبقي كإرادة إلهية[3].

شهدت الفترة الفارسية (القرن السادسالرابع قم) تحولا في هذه الديناميكية، حيث أدى صعود طبقة إدارية جديدة من الكتبة والمترجمين إلى تقليص نفوذ الكهنة التقليديين النقوش من هذه الفترة تظهر كيف أصبحت المعابد أقل ارتباطا بالسلطة المباشرة للملوك، وأكثر انخراطا في شبكات التجارة

[1] محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، مرجع سابق، ص، 151

[2] وحيد محمد شعيب، تاريخ التر: في الشرق الأدنى القديم، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2018، ص، 178

[3] أنطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، مرجع سابق، ص، 220

الدولية، مما سمح لطبقة وسطى جديدة بالظهور كوسطاء بين النخبة والعامة في قرطاج، أدى هذا التحول إلى ظهور نظام حكم جماعي تدريجيا، حيث شاركت الطبقات البرجوازية في إدارة الشؤون الدينية عبر مجالس الشيوخ[1].

هذه التفاعلات المعقدة بين الدين والطبقات كشفت عن مجتمع ديناميكي استطاع، عبر آليات التكيف، الحفاظ على تماسكه رغم التحديات، ليرسم نموذجا فريدا في تاريخ الحضارات القديمة.

المبحث الثاني: المعبودات

قامت الديانة الفينيقية على عبادة قوى الطبيعة المختلفة كالشمس والقمر والأرض والسماء والبحر والمطر والبرق والرعد والعواصف جعل الفينيقيون لكل من الحرب والزراعة والملاحة والصيد إلها ودعي بالبعل، إضافة إلى أنهم ألهوا ملوكهم وأبطالهم هذا التنوع في المعبودات يعكس طبيعة المجتمع الفينيقي المرتبط بالبحر والتجارة والزراعة، حيث سعوا لضمان حماية الآلهة لجميع أنشطتهم الحياتية المهمة[2]

المطلب الأول: الآلهة الرئيسية

تميزت الآلهة الرئيسية في الديانة الفينيقية بتنوعها وثرائها، حيث عكست طبيعة المجتمع الفينيقي التجاري والبحري وارتباطه الوثيق بقوى الطبيعة لم تكن التركيبة الدينية الفينيقية موحدة بين المدن، إذ تعددت الخصوصيات وكانت الاختلافات كثيرة من مدينة إلى أخرى رغم هذا التباين، تكونت هذه

[1] محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، مرجع سابق، ص، 163

[2] أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 215

الديانات حول صفة مشتركة في جميع المناطق الحضرية وهي تنظيم الآلهة في الثلاثيات، والوجود الدائم للإله الأب والآلهة الأم والإله الشاب[1].

إيل الإله الأعظم والخالق

هيمن الإله إيل أو إل على رأس الثالوث المقدس في جبيل، حيث كان يمثل الإله الأعلى على ما كان يرمز له الإله رع عند الفراعنة، وهو ما يعكس بوضوح التأثير المصري كان إيل خالق السماء والأرض، يمثل الطبيعة، وكان أب جميع الآلهة وخالق البشر والحيوانات في جبيل، كان **إل** الإله المسن، والأنثى كانت بعلة جبيل، وتقول الأسطورة أن بعلة جبيل حلت محل إيل في تزعم المدينة فأصبحت سيدتها، وقدم ملوك جبيل والفراعنة ولاءهم لها[2]

بعل إله الخصب والقوة الطبيعية

يظهر بعل كواحد من أهم الآلهة في البانثيون الفينيقي، حيث كان إله السماء والبرق والرعد والمطر والزراعة كان لكل مدينة بعلها وبعلتها، وكان الفينيقيون يجعلون لكل من الحرب والزراعة والملاحة والصيد إلها اسمه "بعل "في صيدا، كان الإله الأكثر أهمية هو **بعل**، وربما كان مكافئا في وظيفته لإيل في جبيل كان بعل يمثل القوة والسلطة والإلهام الإلهي، وكان يتم تصويره عادة على شكل ثور أو رأس ثور مزين بقرون طويلة[3]

الآلهة الأنثوية رمز الخصوبة والأمومة

---

[1] رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص، 147

[2] محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص، 232

[3] أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 218

تواجدت الآلهة التي عرفت ببعلة جبل أو جبْلا "سيدة جبيل" التي كانت عبادة قديمة في هذه المدينة، تجسد الخصوبة والنمو ورمزها كان قريبا من الرموز المصرية، وذات صلة مع إيزيسحتحور كانت **عشتروت** أكثر وضوحا في صيدا وكان لها العديد من المعابد المخصصة وكانت تعادل بعلات في جبيل، كما كان يشار إلى ملوك صيدا باسم كهنة عشتروت كانت تصور في الفن مع هلال على رأسها، في إشارة إلى ارتباطها الوثيق بالقمر.[1]

ثالوث جبيل المقدس

في جبيل، تكون الثالوث من **إل** الإله المسن، و**بعلة جبيل** الآلهة الأنثى، و**أدونيس** الإله الفتى كان أدونيس إله الشمس والحياة، ومركز عبادته الرئيسي في جبيل، وعشيقته عشتار إلهة الحب والخصب والجمال كان أدونيس يمثل الربيع وانبعاث الطبيعة، وكان محورا لطقوس الموت والبعث السنوية[2]

آلهة صيدا الثلاثة

في مدينة صيدا، كان **بعل صيدون** هو الإله المسن، و**عشتروت** الربة الأنثى، و**إشمون** الذي كان كأدونيس إلها فتيا يحتفل بموته وببعثه كل سنة، ثم أصبح فيما بعد إله الشفاء في فينيقيا كلها لم يظهر إشمون قبل القرن السابع قم وكان يعادل أدونيس، كما تم بناء المعابد باسمه وارتبط بالشفاء، وبالتالي عرفه الإغريق باسم أسكلبيوس

ثالوث صور المقدس

[1] رمضان عبده علي، مرجع سابق، ص، 149-150

[2] عصفور، مرجع سابق، ص، 233-234

كان ثالوث آلهة صور مؤلفا من إله السماء **بعل شميم** ومن **عشتروت** أم الآلهة والبشر والنبات، واهبة الحياة للطبيعة، ومن **ملقرت** الفتي الشاب سيد المدينة وملكها كان الإله الأعلى في صور هو **ملكارت** (الذي تم كتابته أيضا ميلكارث)، أي ما يعادل بعل في صيدا، وكان لميلكارت بعض خصائص كل من أدونيس وإشمون، حيث كان محور مهرجان القيامة كل عام (فبراير مارس) كان يمثل الملكية والبحر والصيد والاستعمار، وكان مسؤولا عن النجاح التجاري للمدن باعتباره مكتشفا لصبغة الفينيقيين المستخرجة من المحار الموركس[1].

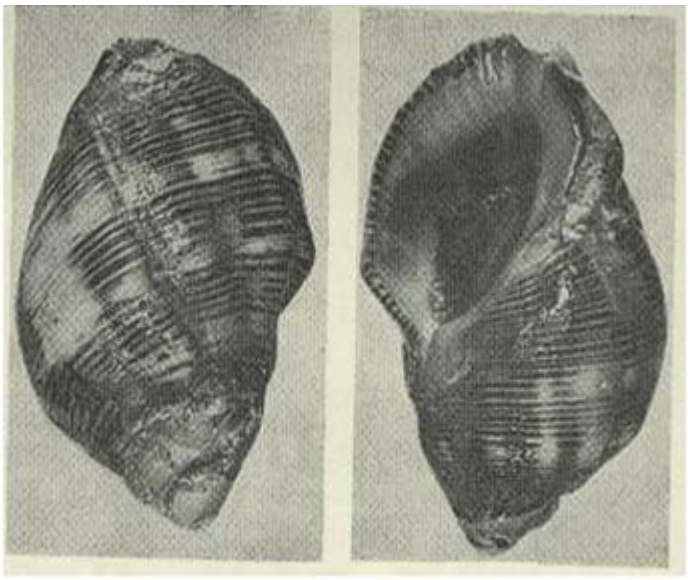

صدفات من نوع الموركس هيماستوما
Murex Humastoma

المصدر: البستاني فؤاد أفرام، دائرة المعارف، بيروت، 1971 .مجلد 9، ص 67

[1] حسين مؤنس، مرجع سابق، ص، 213

آمن الفينيقيون بمجموعة من الآلهة الثانويين جنبا إلى جنب مع الثلاثيات الرئيسية، فلكل مدينة عدد من الآلهة التي غالبا ما كانت تمثل القوى والعوامل الطبيعية **خوذر** كان إله البحر في حين كان يرصد أيضا فصول السنة، و**رشيف** إله الرعد والبرق، و**اليان** إله الينابيع والمياه الجوفية كان **داجون** يمثل إله القمح للبعض وإله المطر والمجاري المائية للبعض الآخر، و**شدرابا** حامي الأطباء و**هيجون** للحرفيين[1].

آلهة العدالة والمثل العليا

عبد الفينيقيون آلهة تجسد المثل العليا مثل **سيديق** و**ميزور** اللذين جسدا العدالة والصلاح **تانيت** كانت آلهة الخصوبة والإنتاج، و**يم** إله البحر، و**موت** إله الموت، و**ياريه** إله القمر كان **تشوصور** يعتقد أنه اخترع الحديد والأشغال المعدنية، مما يعكس أهمية الحرف والصناعة في المجتمع الفينيقي..[2]

آلهة الطبيعة والحرف

إلى جانب الآلهة الرئيسية، عبد الفينيقيون **رشيف** إله النار والبرق، و**داجون** إله القمح الذي ينسب إليه اختراع المحراث، و**شادربا** الذي ارتبط بالثعابين والشفاء هذا التنوع في الآلهة المتخصصة يعكس تطور المجتمع الفينيقي وتنوع أنشطته الاقتصادية والحرفية.

في مرحلة متقدمة من تاريخ الديانة الفينيقية، حلت جميع الآلهة في زوج واحد سماه القوم إيل وإيلة، أو بعل وبعليت، حتى أصبح الفينيقيون يعتبرون أول شعب آمن بالإله التوحيدي إيل هذا

[1] مورتكات، مرجع سابق، ص، 217

[2] محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص 236

التطور الديني يظهر النضج الفكري للحضارة الفينيقية وقدرتها على تطوير مفاهيم دينية متقدمة تأثرت بها الحضارات اللاحقة في منطقة البحر المتوسط. [1]

كانت البعليم والعشتاروتات تمثل قوى الطبيعة والشمس والكواكب، أو الأغراض التي تتجه إليها نفوس بني آدم مثل العشق والقتال، وكانت هذه الآلهة متوطنة في المرتفعات والمشارف وفي الغابات وفي المياه وفي الأحجار الخام (بيت إيل – بيت الإله) هذا التنوع والثراء في البانثيون الفينيقي يعكس عمق التفكير الديني وتأثيره على جميع جوانب الحياة الفينيقية[2].

المطلب الثاني: آلهة المدن المختلفة

الثالوث الجبيلي: إيل، بعلة جبيل، أدونيس

شكل الثالوث الديني في مدينة **جبيل** (بيبلوس) نظاما دينيا متكاملا يعكس التكامل بين القوى الكونية والاحتياجات اليومية للمجتمع احتل الإله **إيل** قمة الهرم الديني كخالق الكون، لكن دوره اقتصر على البعد الفلسفي المجرد، مما جعله أقل ارتباطا بالشؤون اليومية مقارنة بباقي الآلهة جاءت **بعلة جبيل** لتملأ هذا الفراغ، حيث تولت دور الحامية الفعلية للمدينة، وارتبطت بالخصوبة والتجارة البحرية النقوش التي عثر عليها في معبدها تظهر تلقيها قرابين من الفراعنة المصريين، مثل الذهب واللبان، كرمز للتحالف بين جبيل ومصر أما الإله الثالث **أدونيس**، فجسد دورة الطبيعة عبر

[1] رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص 153

[2] أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دراسات وأبحاث ،بيروت، دار الكتب العلمية، 2006، ص، 166-167

أسطورة موته وبعثه السنوية، والتي ارتبطت بفيضان نهر إبراهيم الذي يحمل التربة الحمراء إلى السواحل، مما عزز الزراعة في المنطقة[1].

الثالوث الصيداوي: بعل صيدون، عشتروت، إشمون

تميزت مدينة **صيدون** بثالوث يعكس طابعها كقوة بحرية ومركز طبي تولى **بعل صيدون** دور حامي السفن والقائد الروحي للحملات العسكرية، حيث صورته النقوش على شكل تنين بحري يخترق الأمواج من جهة أخرى، سيطرت **عشتروت** على الجانب السياسي والديني، حيث أدار كهنتها من العائلة المالكة طقوسا خاصة في معبدها الذي ضم أرشيفا للوثائق التجارية، مما يدل على تداخل الدين بالاقتصاد أما التحول الأبرز فتمثل في صعود **إشمون** من إله شاب إلى رمز للشفاء، بعد أن حولت أسطورة إخصائه الذاتي معبده إلى مركز للحج العلاجي، حيث استخدم الأطباء الفينيقيون الأعشاب المستخرجة من جبال لبنان في طقوس الشفاء[2]

الثالوث الصوري: بعل شميم، عشتروت، ملقارت

ارتبطت مدينة **صور** بثالوث ديني يعكس طموحاتها التوسعية وقدرتها على تصدير الثقافة مثل **بعل شميم** (سيد السماوات) الجانب الروحي للملاحة، حيث وضع البحارة نجوما فضية على تماثيله كدليل على استخدامهم الفلك في الإبحار أما **عشتروت**، فحافظت على دورها كإلهة الحرب، لكنها اكتسبت بعدا جديدا كراعية للاستعمار، حيث نقشت صورتها على عملات قرطاجة المعدنية لكن الإله الأبرز كان **ملقارت**، الذي حوله البحارة إلى إله عالمي عبر شبكة المستوطنات، حيث بنى

[1] خزعل الماجدي، المثولوجيا الكنعانية، ،القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2016، ص، 37-39

[2] خزعل الماجدي، مرجع سابق، ص، 42-43

القرطاجيون نسخة طبق الأصل عن معبده في صور، وأقاموا طقوس "إيقاظ ملقارت" السنوية التي تضمنت حرق سفينة كاملة في البحر كتضحية تضمن نجاح الرحلة القادمة[1]

على الرغم من اختلاف تفاصيل الثالوثات بين المدن، حافظت الديانة الفينيقية على إطار موحد عبر التركيز على ثنائية الذكورة والأنوثة ودورة الحياة والموت مثل الإله المسن في كل مدينة (إيل، بعل صيدون، بعل شميم) الحكمة الموروثة، بينما جسدت الإلهة الأنثى (بعلة جبيل، عشتروت) الحيوية والابتكار أما الإله الفتي (أدونيس، إشمون، ملقارت) فربط الماضي بالمستقبل عبر رمزيته التجديدية هذا التنوع لم يضعف الهوية المشتركة، بل سمح لكل مدينة بتطوير أساطيرها مع الحفاظ على القدرة للتكيف مع الثقافات الوافدة، مثل المصرية والإغريقية، مما جعل الديانة الفينيقية جسرا بين الشرق والغرب[2].

المطلب الثالث: التطور في المعتقدات الدينية

التعددية الدينية وارتباطها بالطبيعة

بدأت الديانة الفينيقية كتعددية دينية تعكس ارتباطا وثيقا بقوى الطبيعة والأنشطة البشرية عبد الفينيقيون آلهة متخصصة مثل **بعل** (إله العواصف والخصوبة)، و**عشتروت** (إلهة الحرب والجمال)، و**إيل** (الإله الخالق)، إلى جانب آلهة ثانوية مثل **رشف** (إله البرق) و**داجون** (إله الزراعة) كل مدينة فينيقية طورت ثالوثا خاصا بها، مثل ثالوث جبيل (إيل، بعلة جبيل، أدونيس) وثالوث صور (بعل شميم، عشتروت، ملقارت)، مما يعكس الاستقلالية الدينية للمدن ارتبطت هذه الآلهة بالحاجات

[1] عيد مرعي، معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق القديم ،بيروت، دار الرافدين، 2024، ص، 87-90

[2] فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشرق القديم، بيروت، دار علاء الدين، 2017، ص، 241

اليومية، مثل ضمان الخصوبة الزراعية أو حماية السفن التجارية، مما جعل الدين جزءا لا يتجزأ من الحياة الاقتصادية والسياسية[1]

التطور نحو التبسيط

مع توسع النشاط التجاري والتفاعل مع الحضارات المجاورة، بدأت عملية دمج الآلهة المتعددة في ثنائيات إلهية في جبيل، حل الزوج الإلهي **إيل** و**إيلة** أو **بعل** و**بعليت** مكان الثالوث التقليدي، مما يشير إلى تحول نحو مفاهيم أكثر تجريدا وشمولية لم يعد ينظر إلى الآلهة الثانوية ككيانات منفصلة، بل كتجليات للزوج الإلهي الأعلى هذا التحول يعكس نضجا فكريا، حيث سعى الفينيقيون إلى تفسير الكون من خلال مبادئ أقل تعقيدا، مع الحفاظ على الرموز الدينية التقليدية[2]

لعبت الحضارات المجاورة دورا محوريا في تشكيل التطور الديني الفينيقي التأثير المصري ظهر جليا في عبادة **بعلة جبيل**، التي ارتبطت بإيزيسحتحور، حيث نقشت صورتها بتاج حتحور في معابد جبيل من جهة أخرى، أدى التفاعل مع الإغريق إلى تبني أساطير مثل أسطورة **أدونيس**، التي تحولت إلى رمز للبعث في الديانة الفينيقية، وارتبطت بطقوس الربيع السنوية في قرطاجة، المستعمرة الفينيقية الغربية، ظهرت آلهة هجينة مثل **تانيت**، التي جمعت بين صفات عشتروت الفينيقية وخصائص آلهة شمال إفريقيا المحلية، مما يدل على مرونة الديانة في التكيف مع السياقات الجديدة[3].

التغير من التعددية إلى التوحيد

---

[1] خزعل الماجدي، الميثولوجيا الكنعانية، المرجع السابق، ص 129

[2] فراس السواح، المرجع السابق، ص 241

[3] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 235

شهدت الفترة المتأخرة من الحضارة الفينيقية تحولا نحو مفاهيم توحيدية، خاصة في المستوطنات البعيدة مثل قرطاجة نقشت عبارات مثل "إيل نور السماء والأرض" على اللوحات الجنائزية، مما يشير إلى تصور لاهوتي يرى الإله الأعلى كقوة كونية شاملة في صور، تطور عبادة **ملقارت** لتصبح مرتبطة بفكرة الخلود والتجدد، حيث قارنه الإغريق بهيراكليس، وربطوه برحلات الاستكشاف البحرية هذه التطورات لم تلغ التعددية تماما، لكنها رفعت من مكانة إله مركزي كوسيط بين البشر والقوى الكونية[1]

رغم التحولات الفكرية، حافظ الفينيقيون على طقوس تقليدية مثل التضحيات البشرية، لكنهم أعادوا تأويلها في قرطاجة، تحولت التضحيات من أطفال إلى حيوانات في معظم الأحيان، مع استمرار الممارسة في الأزمات الكبرى كرمز للتضحية القصوى كما تطورت طقوس "إيقاظ ملقارت" في صور لتصبح مهرجانا سنويا يجذب الحجاج من مستعمرات البحر المتوسط، مما عزز الوحدة الثقافية بين المدن الفينيقية[2].

المبحث الثالث: الطقوس الدينية

مارس الفينيقيون طقوسا دينية متنوعة ومعقدة ارتبطت بشكل وثيق بثقافتهم ومعتقداتهم الدينية كان الفينيقيون يقدمون للآلهة الضحايا البشرية في الأوقات العصيبة، والتي كانت تستبدل بالحيوانات في بعض الأحيان دماء هذه الضحايا كانت تصب على الأنصاب ولحومها تحرق على المذابح،

[1] عيد مرعي، مرجع سابق، ص، 93-94

[2] أسامة عدنان يحيى، مرجع سابق، ص، 165

اعتقادا منهم أن دخانها يشبع الآلهة ويرضيها هذه الطقوس كانت مصحوبة بالصلوات والدعوات والرقص والترانيم التي يقوم بها الكهنة[1]

المطلب الأول: طقوس العبادة والتضحية

تعتبر طقوس العبادة والتضحية من أهم الممارسات الدينية في الحضارة الفينيقية، حيث شكلت جوهر الحياة الروحية والاجتماعية لهذا الشعب العريق هذه الطقوس المعقدة والمتنوعة عكست عمق الإيمان الديني والتنظيم المؤسسي المتطور للديانة الفينيقية، وارتبطت بشكل وثيق بالدورات الطبيعية والأحداث الاجتماعية المهمة[2]

التضحيات والقرابين

مارس الفينيقيون نظاما معقدا من التضحيات شمل كلا من الضحايا البشرية والحيوانية، حيث كانت الحيوانات والممتلكات الثمينة تقدم للآلهة لاسترضائها، وكان يجب أن تتم هذه التضحيات وفقا لمواصفات صارمة موصوفة في تسع نقوش باقية تعرف باسم "تعريفات التضحية "أطول هذه النقوش هو ما يعرف بتعريفة مرسيليا، والذي يحدد أجزاء التضحيات التي كان كهنة معبد بعل صافون مخولين بالحصول عليها.

في الأوقات العصيبة، كان الفينيقيون يقدمون الضحايا البشرية، خاصة الأطفال، في طقوس تعرف باسم "ملك" أو "مولك"، والتي ربطها بعض الباحثين بالمولوخ التوراتي هذه الممارسة، رغم

---

[1] عضيد جواد الخميسي، "آلهة ورموز بلاد الرافدين في الأساطير القديمة"، الحوار المتمدن، العدد 713، 2021، ص، 8-7

[2] صموئيل نوح كريمر، التأريخ يبدأ في سومر ،بغداد، دار المدى، 1997، ص، 233

إثارتها للجدل بين الباحثين المعاصرين، كانت تمارس في أماكن مفتوحة تسمى "توفيت" خارج أسوار المدن، حيث تحتوي على جرار رماد ونصب حجرية[1]

كانت دماء الضحايا تصب على الأنصاب المقدسة بينما تحرق اللحوم على المذابح، اعتقادا من الفينيقيين أن دخان هذه التضحيات يشبع الآلهة ويرضيها هذه الممارسة تعكس الاعتقاد الفينيقي بأن الآلهة تتغذى على جوهر التضحيات المقدمة إليها كانت السكائب والبخور أيضا جزءا مهما من التضحيات، كما تشير الاكتشافات الأثرية[2]

الطقوس الكهنوتية

تميز النظام الديني الفينيقي بتنظيم كهنوتي معقد شمل كهنة بدوام جزئي وآخرين بدوام كامل، حيث كان الكهنة بدوام كامل يطلق عليهم "خنم" (مفردها "خن"، وهو مصطلح مشابه للمصطلح العبري كوهين)، ويقودهم كهنة عظام يسمون "رب خنم "كان هناك أيضا مسؤولون دينيون من رتب أدنى مرتبطون بمقدسات محددة، شملوا "رئيس حراس البوابات" وأشخاص يطلق عليهم "خدم" أو "عبيد" المقدس[3].

الطقوس الكهنوتية الخاصة

لعب الكهنة دورا محوريا في تنظيم وتنفيذ الطقوس الدينية، حيث كانوا يرتدون الزي الأرجواني خلال الطقوس ويقومون بالصلوات والدعوات والرقص والترانيم كان هناك صنف من المسؤولين

[1] خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 177

[2] صموئيل نوح كريمر، مرجع سابق، ص، 235

[3] مارك فان دي ميروب، بلاد الرافدين القديمة ،تر:، عامر سليمان، بغداد، دار المأمون، 2001، ص، 221-223

الطقسيين يعرف باسم "مقيم إليم" (موقظ الإله) المسؤول عن ضمان عودة الإله الذي يموت ويبعث ملقرت لحراسة المدينة كل عام.

تطلبت طقوس العبادة الفينيقية إجراءات تطهر صارمة ومعقدة، حيث كان على من يضحي للآلهة ويدخل إلى باحة الهيكل أن يتطهر ويستبدل ثيابه الدنيوية بأخرى جديدة هذا التطهر الطقسي لم يكن مجرد تنظيف جسدي، بل كان يرمز إلى التحول الروحي والانتقال من الحالة الدنيوية إلى الحالة المقدسة المناسبة للتواصل مع الآلهة[1].

كانت هناك قواعد صارمة للطهارة في المعابد الفينيقية، فمثلا كانت الخنازير تبعد عن هيكل ملقرت لئلا تدنسه بقربها هذا التحريم للخنازير في السياق الديني الفينيقي يعكس مفاهيم الطهارة والنجاسة التي كانت سائدة في الشرق الأدنى القديم كان يعتبر الخنزير حيوانا نجسا لأسباب مختلفة، منها عاداته في الأكل وبيئة معيشته القذرة.

العبادة في المعابد والمواقع الطبيعية

عبد الفينيقيون آلهتهم في معابد مبنية لهذا الغرض في مواقع بارزة في المدن، وكذلك في مواقع طبيعية اعتبرت مقدسة مثل جبال وأنهار وبساتين أشجار معينة وحتى صخور الأنهار حملت أسماء الآلهة مثل نهر أدونيس بالقرب من جبيل ونهر أسكليبيوس الذي يجري عبر صيدا[2]

الاحتفالات في المواقع المقدسة

تضمنت الاحتفالات في هذه المواقع الصلوات وحرق البخور وسكب السكائب وتقديم القرابين للآلهة من التضحيات الحيوانية والمواد الغذائية والسلع الثمينة بالإضافة إلى ذلك، كانت أعمدة نذرية

[1] كريمر، مرجع سابق، ص، 237،

[2] مارك فان دي ميروب، المرجع السابق، ص 224

مصنوعة من الخشب (أشيرة) أو الحجر (بيتيل) توضع على مذابح التضحية، وكانت هذه الأعمدة منقوشة بالصلوات ومزينة في المهرجانات بالزهور وأغصان الأشجار[1]

الطقوس الخاصة والممارسات المتخصصة

البغاء المقدس

من بين الطقوس الأكثر إثارة للجدل في الديانة الفينيقية كان البغاء المقدس تكريما لعشتروت (أستارتي)، إلهة الحب والخصوبة هذه الممارسة كانت إما طقسا استثنائيا تؤديه كاهنات معابد عشتروت ومحفوظة للزوار الأجانب، أو كانت تمارس في بعض المدن ليس فقط من قبل الكاهنات، ولكن أيضا جميع النساء، وعلى الأقل لمرة واحدة في حياتهن تشير التفسيرات الحديثة إلى أن الدعارة المقدسة يمكن أن تكون وسيلة لملء خزائن المعابد وإثرائها.

كان هناك عرف مثبت في جبيل من قبل المؤلف اليوناني لوقيان السميساطي بأن أولئك الذين يضحون لملقرت كان عليهم حلق رؤوسهم، مما قد يفسر أمواس الحلاقة الطقسية الموجودة في العديد من القبور القرطاجية هذه الممارسة تعكس أهمية التضحية الشخصية والتطهر في الطقوس الفينيقية.[2]

كان للمعابد جمعيات تشار إليها باسم "مرزح" في النقوش البونية والبونية الجديدة، والتي كانت تقيم مآدب طقسية في قرطاجة، على سبيل المثال، كان هناك مجلس من ثلاثين شخصا ينظم

[1] صموئيل نوح كريمر، المرجع السابق، ص 115

[2] Richard J، Clifford, "Phoenician Religion," The Biblical Archaeologist, Vol، 57, No، 4 ،1994، 223-،225

التضحيات هذا التنظيم المؤسسي يعكس التطور المتقدم للنظام الديني الفينيقي وأهمية الطقوس في الحياة الاجتماعية[1].

دور الملوك في الطقوس

كان الملوك والأمراء يؤدون أيضا وظائف دينية، حيث كان العبادة الفينيقية تنجز من قبل الحاكم (على الأقل في المدن الرئيسية: صور وجبيل وصيدا)، بمساعدة كهنة مجمعين في كليات ويقودهم "كاهن أعظم "هذا الشخص كان يتمتع بهيبة كبيرة، ففي صور، على سبيل المثال، كان الكاهن الأعظم لملقرت، وفقا لجوستين المؤرخ الروماني، الشخصية الثانية في المدينة بعد الملك

تظهر هذه الطقوس المتنوعة والمعقدة عمق الحياة الروحية عند الفينيقيين وتطور نظامهم الديني، كما تعكس التأثير الكبير للدين على جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الفينيقي هذه الممارسات الدينية لم تكن مجرد طقوس روحية، بل كانت تشكل أساس التماسك الاجتماعي والهوية الثقافية للحضارة الفينيقية[2]

المطلب الثاني: المعابد والهياكل

شكلت المعابد الفينيقية مراكز روحية وسياسية واجتماعية، حيث تجسدت فيها الرؤية الكونية لهذا الشعب عبر تصميمات معمارية متطورة تعكس التراتبية المقدسة وتفاعل الإنسان مع العالم الإلهي

[1] مرعي، مرجع سابق، ص، 114-116

[2] عصفور، مرجع سابق، ص، 239

تميزت هذه المباني الدينية بدمج العناصر المحلية مع التأثيرات الحضارية المجاورة، مما جعلها نموذجا فريدا في الشرق الأدنى القديم[1].

اتبعت المعابد الفينيقية نظاما هرميا في تخطيطها، حيث قسمت إلى ثلاثة أقسام رئيسية :**القسم الداخلي** (قدس الأقداس) المخصص لتمثال الإله وطقوس العبادة السرية، و**القسم الخارجي** الذي يعمل كمعبر رمزي بين العالمين الدنيوي والمقدس، و**الساحة العامة** المفتوحة للجمهور والتي كانت تستخدم للاحتفالات الجماعية هذا التقسيم لم يكن مجرد تفصيل هندسي، بل يعكس فلسفة دينية عميقة تربط بين التطهير التدريجي للروح واقترابها من الإله[2].

في معبد **أدونيس وعشتار** في مغارة أفقا بجبيل، مثلا، كان الحجاج يمرون عبر ساحة واسعة محاطة بأروقة قبل الوصول إلى الهيكل الداخلي، حيث يعتقد أن دماء التضحيات كانت تصب على أنصاب حجرية منحوتة بزخارف نباتية وحيوانية أما في معبد **أشمون** بصيدا، فقد اكتشفت منصات حجرية ضخمة تعود إلى الحقبة الفارسية، مع وجود قنوات مائية تزود البرك المقدسة بمياه نهر الأولي، مما يؤكد ارتباط الطقوس العلاجية بالعنصر المائي[3].

---

[1] محمد حشلاف، مطبوعة الدعم البيداغوجي في مادة حضارات قديمة، جامعة تيارت، " ،الجزائر، جامعة تيارت، 2020، ص، 25-26،

[2] محمد الخطيب، الحضارة الفينيقية ،بيروت، دار الفكر اللبناني، 2002، ص، 85

[3] محمد الخطيب، مرجع سابق، ص، 88

المطلب الثالث: المواسم الدينية والاحتفالات

شكلت المواسم الدينية الفينيقية نظاما دوريا يعكس التلاحم الوثيق بين الإيمان الديني والدورة الطبيعية للحياة، حيث مثل تناوب الفرح والحزن تجسيدا رمزيا لصراع الخصوبة والجفاف في المنظومة الكونية ارتبطت هذه الاحتفالات ارتباطا وثيقا بأسطورة أدونيس وعشتروت، والتي حولت دورة الحياة والموت إلى طقوس جماعية تعبر عن الهوية الثقافية وتعزز التماسك الاجتماعي عبر تفاعل المجتمع مع القوى الإلهية[1].

كان موسم الربيع يعلن مع بدء ذوبان الثلوج في جبال لبنان، حيث تتحول مياه نهر إبراهيم (نهر أدونيس) إلى اللون الأحمر بسبب اختلاطها بالتربة الغنية بأكسيد الحديد، وهو ما فسره الفينيقيون على أنه دماء أدونيس المنبثقة من جرحه القاتل في هذا الموسم، كانت المدن الفينيقية تقيم طقوس البعث التي تضمنت: زراعة "حدائق أدونيس" وهي أواني فخارية تزرع فيها بذور سريعة النمو مثل الخس والشمر، تركت لتذبل تحت الشمس رمزا لموت الإله الفتي، ثم تلقى في البحر أو الينابيع كقربان كانت هذه الممارسة تعكس الاعتقاد بأن نمو النباتات السريع وذبولها يحاكي مصير أدونيس، مما يجسد مفهوم التجدد الدوري للحياة.[2]

إلى جانب ذلك، شهدت المدن مواكب موسيقية ضخمة يقودها الكهنة مرتدين الأردية الأرجوانية، حيث حملت تماثيل أدونيس المذهبة عبر الشوارع، مصحوبة بعزف الدفوف والناي لإخفاء صراخ المشاركين في طقوس التضحية كما ارتبطت هذه الفترة بطقوس الرقصات الدائرية التي تقلد

[1] ج، فرايزر، أدونيس وعشتروت وأساطير الشرق الأدنى، تر: سهيل زكار ،القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2016، ص 45

[2] خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 154

حركات الأجرام السماوية، وفقا للنقوش المكتشفة في معبد أشمون بصيدا، والتي تصف "رقصات النجوم" المرتبطة ببعث الإله[1].

مع حلول موسم الخريف، تحول النشاط الديني إلى طقوس حزن جماعي، حيث أقيمت مراسم تشييع جثمان أدونيس الرمزي وضع تمثال خشبي للإله في نعش مزين بالأزهار، وحمل في موكب ليوم كامل قبل دفنه رمزيا في معبد عشتروت بجبيل خلال هذه الفترة، مارست النساء طقوسا شديدة التعبير عن الحزن، مثل حلق رؤوسهن وضرب صدورهن بالحجارة، بينما جلد الرجال ظهورهم بالسياط حتى تسيل الدماء، محاكاة لمعاناة الإله كما خرجت النساء "بشعور مرسلة ووجوه مخدشة" إلى الغابات والجبال، حيث رددن ترانيم مثل "وا أدونيساه" .[2]"

لم تكن هذه الطقوس مجرد تمثيلية أسطورية، بل ارتبطت بملاحظات دقيقة للظواهر الطبيعية ففيضان نهر إبراهيم الأحمر في الربيع لم يكن مجرد ظاهرة جيولوجية، بل تحول إلى حدث ديني مقدس، حيث اعتبرت الأزهار الحمراء التي تنبت على ضفاف النهر تجسيدا لدم الإله استخدم الكهنة هذه الأزهار في صنع ترياقات طبية في معبد أشمون، مما يدل على التداخل بين الطب والدين في الثقافة الفينيقية كما ارتبط توقيت الاحتفالات بظهور نجم الشعري اليمانية (Sirius) في الأفق، والذي اعتبر مؤشرا لبدء موسم الأمطار، وفقا للنقوش الأوغاريتية[3].

تبادلت المدن الفينيقية طقوسها الموسمية مع الحضارات المجاورة، حيث تبني الإغريق مهرجان **الأدونيا** الذي شمل إلقاء "حدائق أدونيس" من الأسطح، كما ورد في كتابات هيرودوت

---

[1] خزعل الماجدي، نفسه ، ص 155

[2] وديع بشور، الميثولوجيا الفينيقية، ديانات الأسرار ،دمشق، دار المرساة، 2006، ص، 134-137

[3] عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ،بنغازي، دار الكتب الوطنية، 2001، ص، 99-100

وأفلاطون في مصر، تأثرت طقوس أوزيريس بأسطورة البعث الفينيقية، حيث لاحظ المؤرخ ديودوروس الصقلي تشابها في استخدام النعوش الخشبية أما في بلاد الرافدين، فقد تقاطعت أسطورة أدونيس مع ملحمة تموز وعشتار البابلية، خاصة في فكرة النزول إلى العالم السفلي[1]

تجاوزت هذه المواسم الغرض الديني لتصير أدوات لتنظيم المجتمع فقد كرست الطقوس الأدوار الجندرية، حيث قصر طقوس الحداد على النساء كتعبير عن "حزن الأم الكونية"، بينما تولى الرجال طقوس الصيد والتضحية كما سمحت للمهمشين بالمشاركة في الطقوس كنوع من "التمرد المنظم" ضد النظام الطبقي، وفقا لنقوش قرطاج إلى جانب ذلك، عززت الاحتفالات الهوية المحلية عبر تحويل مدن مثل جبيل وصيدا إلى مراكز حج سنوية، حيث تبادل الحجاج البضائع وجددوا الولاء للطبقة الحاكمة[2]

ظلت آثار هذه الطقوس ملموسة في التراث اللبناني الحديث، حيث لا تزال منطقة مغارة أفقا بالقرب من نهر إبراهيم مقصدا للزوار الذين يستكشفون أنقاض معبد أدونيس وعشتروت بل إن بعض الممارسات الزراعية التقليدية في لبنان، مثل زراعة المحاصيل سريعة النمو، تعتبر امتدادا رمزيا لـ"حدائق أدونيس "حتى أن بعض الباحثين يربطون بين طقوس الحداد الفينيقية وممارسات العزاء في الثقافة الشعبية اللبنانية، حيث تستخدم الرموز النباتية مثل الأزهار الحمراء في مراسم التشييع[3]

[1] عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، ص 101

[2] وديع بشور، مرجع سابق، ص، 142

[3] عصفور، مرجع سابق، ص، 119

بهذا، تجسدت المواسم الدينية الفينيقية كنسيج معقد يربط بين الأسطورة والطبيعة والمجتمع، محولة دورة الحياة والموت إلى نظام رمزي يعزز التماسك الاجتماعي ويجسد الرؤية الكونية لهذا الشعب القديم.

الفصل الثاني:
الدور الاقتصادي والتجاري للفينيقيين

المبحث الأول: الأسطول الفينيقي والنشاط التجاري

المطلب الأول: تطوير الأسطول البحري الفينيقي

المطلب الثاني: شبكات الطرق التجارية البحرية

المطلب الثالث: التنظيم التجاري والوساطة التجارية

المبحث الثاني: المنتجات الفينيقية والتبادل التجاري

المطلب الأول: الصناعات الفينيقية المتخصصة

المطلب الثاني: المنتجات الزراعية وزيت الزيتون

المطلب الثالث: شبكة التبادل التجاري والشركاء التجاريون

المطلب الأول: إنشاء المستوطنات التجارية

المطلب الثاني: الأثر الاقتصادي والحضاري للمستعمرات

المطلب الثالث: التأثير على الحضارات المحلية

المبحث الأول: الأسطول الفينيقي والنشاط التجاري

المطلب الأول: تطوير الأسطول البحري الفينيقي

شكل الأسطول البحري الفينيقي العمود الفقري لقوتهم الاقتصادية والتجارية، حيث استفادوا من موقعهم الجغرافي المميز على سواحل البحر المتوسط لتطوير تقنيات بناء السفن المتقدمة. استقر الفينيقيون على الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط، فيما يعرف بفينيقيا (لبنان حاليا) بالقرب من طرق المواصلات الدولية، المارة إلى بلاد الرافدين، وإلى آسيا الصغرى، والدولة المصرية.

أدت الظروف الجغرافية الخاصة إلى توجه الفينيقيين نحو البحر، حيث ضيق السهل الساحلي نتيجة قرب النتوءات الصخرية من سلسلة جبال فينيقيا وقربها كثيرا من البحر المتوسط، مما ترتب عليها صغر المساحة الزراعية، وصعوبة المواصلات بين مدنه. كل هذه الأسباب جعلت أنظار الفينيقيين تتجه صوب البحر المتوسط، لأنه حلقة الوصل بينهم وبين الشعوب المستقرة على شواطئه. [1]

المواد المستخدمة بناء السفن

استغل الفينيقيون الثروات الطبيعية المحلية، خاصة أخشاب الأرز من جبال لبنان، لبناء سفن متينة ومتطورة. كان الفينيقيون من بناة السفن المهرة، واستخدموا في المقام الأول خشب الأرز، الذي كان متوفرا بكثرة في منطقتهم، في هيكل السفينة وإطارها. كما استخدموا أيضا أدوات مثل المناشير والأزاميل والأزاميل المصنوعة من البرونز لقطع الخشب وتشكيله.

[1] محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 95

تم استخدام المسامير المصنوعة من الحديد لربط الألواح معا، وتم استخدام حبل مصنوع من القنب أو الكتان للتثبيت. استخدم الفينيقيون أيضا نوعا من الراتنج، يسمى قار السفينة، لحماية سفنهم من الماء. يتألف الزورق من أو ل قطعة توضع فيه من أجل البدء ببناء جسمه، والتي تدعى الـ"بريم"، أي العمود الفقري أو الحامل الذي تحط عليه أضلاع خشبية أو حديدية بشكل عرضي.[1]

أنواع السفن الفينيقية واهم الابتكارات

تميز الفينيقيون بكونهم من أقدم الشعوب التي اهتمت بالملاحة البحرية أكثر من غيرها خلال التاريخ القديم، حتى لقبوا بـ"أبناء البحر". طوروا السفن النهرية والبحرية واستخدموا السفن ذات الصواري في البحر المتوسط منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

تعد سفينة البنتيكونتور "pentécontore" أو القادس ذات "الخمسين مجذاف" أقدم وأبسط السفن الحربية الفينيقية. يبلغ طولها حوالي 25 مترا، وعلى متنها طاقم من 50 مجدف (متوزعين بالتساوي على كلا الجانبين)، بالإضافة تواجد أيضا القائد، والثاني، والسائق وباقي البحارة الذين يهتمون بالأشرعة وعددهم لم يتجاوز العشرة.[2]

أما القادس الأكثر شهرة يبقى "الثلاثية المجاذيف" سيدة البحر المتوسط بلا منازع بين القرن السابع والثامن قبل الميلاد، هذه السفينة كانت مجهزة بثلاثة صفوف من المجاذيف ويمكن أن

[1] أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص 136

[2] أيت عمارة ويزة، دور السفينة في التجارة والتوسع الاستيطاني في البحر المتوسط القديم، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ القديم، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995م، ص44

تستوعب طاقما من نحو 180 رجل. تطورت هذه السفن الحربية مع مدينة قرطاج وأحواضها الحديثة، لتصبح "رباعية أو خمسية المجاذيف".[1]

بفضل وفرة الأخشاب الجيدة على سفوح جبالهم الصالحة لصناعة السفن المتعددة الأغراض، وبراعة الإنسان الفينيقي في أعمال التجارة، وصناعة السفن، وركوب البحر ومعرفة طرقه، والتيارات البحرية، واتجاه الرياح الموصلة للجزر والمرافئ، والأوقات الجيدة للملاحة. تراوحت السرعة القصوى بين 5 و 6 عقدة بحرية من خلال الاستخدام المتزامن للأشرعة والتجديف وذلك على مسافات قصيرة.[2]

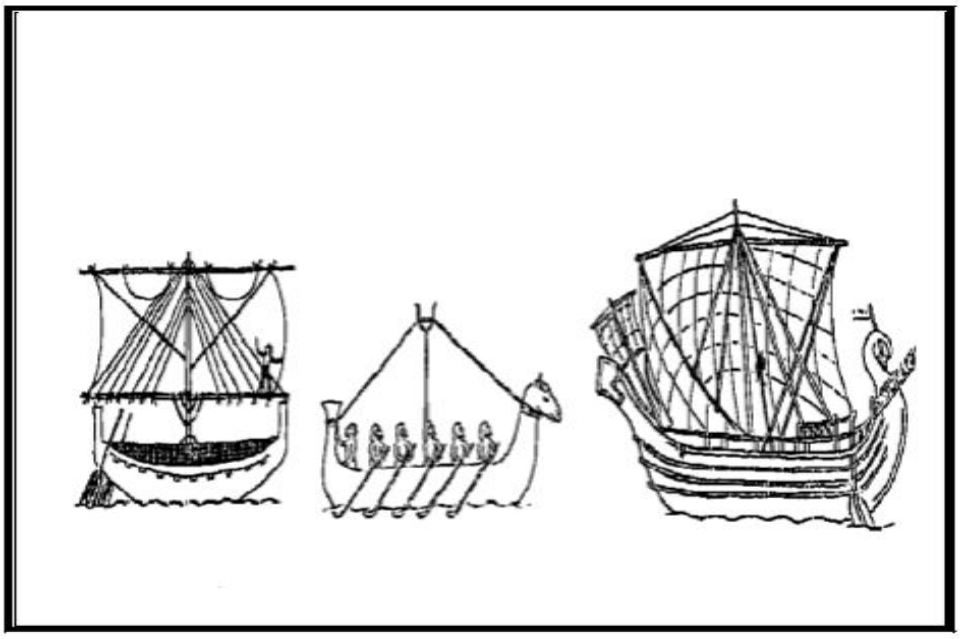

سفن تجارية فينيقية (كارلهاينز برنهردت ، لبنان القديم ، ص 125)

[1] أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص114،

[2] أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص161

أقاموا جسرا حضاريا بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي مستفيدين في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد من ظروف عسكرية وطبيعية تقنية، منها تطور تقنيات بناء السفن والملاحة البحرية. وبذلك أضحت الأساطيل الفينيقية تصل بين ضفاف البحر المتوسط، كما أثرت الحضارة الفينيقية عبر أسطولها البحري على العديد من الحضارات لم تقتصر على الحضارات المجاورة بل امتدت إلى أبعد من ذلك.[1]

واشتهرت الموانئ اللبنانية بصناعة السفن الفينيقية وعرفت تاريخا من الازدهار دو نه حرفيون بصبر وحنكة ليجوبوا البحر المتوسط وموانئ عالمية أخرى.

المطلب الثاني: شبكات الطرق التجارية البحرية

أنشأ الفينيقيون شبكة تجارية واسعة امتدت عبر البحر المتوسط وما وراءه، وصلت إلى الجزر البريطانية وغرب أفريقيا. سعوا لإنشاء شبكة من الأسواق لبيع وتبادل سلعهم في جميع أنحاء البحر المتوسط، وأسسوا مراكز تجارية عديدة تقع على مسافات صغيرة من بعضها البعض لتسهيل عمليات التوقف بين الرحلات والتموين وشحن اللوازم والإمدادات. كان الباعث الرئيسي الذي حبذ الفينيقيين ودفعهم إلى المغامرة حبهم للاختلاط والاتصال والتبادل، وبسبب مهارتهم في الملاحة، جهد هؤلاء التجار لربط البحر والبر.[2]

الطرق التجارية الرئيسية

[1] محمد الخطيب، مرجع سابق، ص، 103

[2] لبيب عبد الساتر الحضارات ، دار المشرق، بيروت لبنان، 1986م، ص103

اعتمدوا على طريقين رئيسيين للوصول إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط: الطريق الأول ربط فينيقيا بجنوب فرنسا مرورا بجزر البحر المتوسط واليونان ثم إيطاليا، والطريق الثاني مر بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط عبر شمال إفريقيا وصولا إلى غرب شبه الجزيرة الأيبيرية. في الحوض الشرقي، ترتبط القارات الثلاثة (أوروبا وآسيا وأفريقيا) إلى بعضها البعض من خلال العديد من الجزر المتواصلة التي تسمح بتقصير الخطوات وخاصة في النصف الشمالي حيث الملاحة صوب الغرب تمر بجزيرة قبرص وساحل آسيا الصغرى وكريت وجزر بحر إيجه.[1]

أساليب الملاحة والتنقل

كان البحر المتوسط أكبر مدرسة وأقدمها لتعلم الملاحة في العالم، حيث اجتمعت فيه عدة ظروف طبيعية جعلته وسطا صالحا للملاحة البدائية، خاصة في الجزء الشرقي. في البداية، تم اكتشاف البحر بفضل رحلات على مراحل قصيرة، من خلال تطبيق مبدأ الملاحة الساحلية الصغيرة، وذلك بالإبحار بالقرب من اليابسة، وعلى مرأى من الساحل، وربط الميناءين في غضون 25 إلى 30 ميلا بحريا.

فخبرتهم في الملاحة البحرية هي قديمة جدا ولهذا نجد المؤرخ اليوناني "سترابون" يصرح بأن "....الفينيقيين البحرية هي معترف بها قديما[2]، بغاية توسيع نطاق الملاحة، بدأ البحارة الفينيقيون الاقتراب والتوقف على شواطئ الجزر التي كانت على مساراتها بين مدنهم ووجهاتهم من الأجزاء الأخرى من العالم القديم. أما ما بعد الجزر اليونانية، فقد أصبحت الخطوات أطول، وتم اعتماد وتطبيق نظام

[1] العقون العربي، الملاحة والتجارة بين الشرق والغرب في القديم أهمية البحر الأحمر، العدد 2648، الحوار المتمدن، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات،

[2] Strabon, THE GEOGRAPHY DE STRABON 1, 3

الإبحار الطويل المدى، الذي كان ينفذ على مسافات أبعد بكثير من الساحل مع الحفاظ قدر الإمكان على رؤية اليابسة. [1]

تقنيات الملاحة الفلكية

أثناء الليل، عندما كان الطريق البحري لا يسمح للتوقف، استعمل الفينيقيون علم الفلك لتوجيه سفنهم بالاستناد على مواقع النجوم، وعلى وجه الخصوص بمراقبة كوكبة الدب الأصغر والنجمة القطبية، المعروفة في العالم القديم تحت اسم النجمة الفينيقية. هذه المعرفة التقنية العميقة والواسعة في حقل الملاحة كانت ضرورية للنجاح في الاضطلاع البحري والتجارة.[2]

كانت فترة الملاحة البحرية محددة وفقا للظروف المناخية، حيث تدوم ستة أشهر خلال فصلي الربيع والصيف. كان على هؤلاء البحارة التوقف بانتظام، وخاصة من أجل الإمدادات الغذائية وإذا اقتضى الأمر، للتصليحات. وبالتالي انتشرت المراكز والمرافئ الفينيقية في جميع مناطق البحر المتوسط وما وراء أعمدة هرقل، مضيق جبل طارق الحالي.[3]

المستوطنات والمراكز التجارية

أسس الفينيقيون محطات تجارية مؤقتة على سواحل شمال وجنوب غرب البحر المتوسط وفي جزره المختلفة، ومع مرور الوقت تحولت هذه المحطات إلى مراكز تجارية دائمة وبالتدريج تحولت إلى مستوطنات فينيقية هاجر واستقر بها الفينيقيون بصفة دائمة. من أهم تلك المستوطنات: بانوراموس،

---

[1] آيت عمارة ويزة المرجع السابق، ص41

[2] Moscati،S, Les Phéniciens, éd،Belbord, Paris, 1989, p74-75

[3] حاطوم نور الدين وآخرون، موجز تاريخ الحضارات حضارات العصور القديمة، ج 1، مطبعة الكمال، 1965م، ص134

سوليس وموتيا في صقلية، ومحطات أخرى في سردينيا، بالإضافة إلى مستعمرات قادس بإسبانيا، وليكسوس بالمغرب الأقصى، وأوتيكا على السواحل التونسية.[1]

المطلب الثالث: التنظيم التجاري والوساطة التجارية

اتسم النظام التجاري الفينيقي بتطور مؤسسي فريد، حيث اعتمد على شبكة من المستوطنات التجارية (Emporia) التي عملت كمراكز لتبادل السلع والخدمات بين الحضارات. كانت هذه المستوطنات، مثل قرطاج وقادس، تقع في نقاط استراتيجية على مفترق طرق بحرية، مما سمح للفينيقيين بالتحكم في تدفق البضائع من الشرق إلى الغرب وبالعكس. تميزت هذه المراكز بكونها مناطق محايدة تخضع لحماية الدول المجاورة، مما ضمن استقرار التبادل التجاري حتى في فترات التوترات السياسية.[2]

برع الفينيقيون في ابتكار أساليب تجارية متطورة، منها نظام المقايضة الصامتة الذي وصفه هيرودوت،[3] حيث كان التجار يتركون بضائعهم على الشاطئ ويبتعدون، ليعود السكان المحليون ليضعوا الذهب أو السلع المقابلة، وتستمر العملية حتى يتحقق التوازن في القيمة. بالإضافة إلى ذلك، طوروا نظاما للائتمان والقروض مك ن التجار من تمويل رحلات طويلة المدى، حيث كان الأثرياء يقدمون القروض بضمان البضائع، مما وس ع نطاق العمليات التجارية. استخدم الفينيقيون أيضا

---

[1] فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1، تر ، جورج حداد وعبد الكريم، رافق دار الثقافة، بيروت، لبنان،1958م، ص 164

[2] [1] فرناند بروديل، البحر المتوسط والعالم المتوسطي على عهد فيليب الثاني، تر: مروان أبي سمرا ،بيروت، المنظمة العربية للتر:، 2002، ج1، ص 89-90

[3] هيرودوت، التواريخ، تر: عبد الإله الملاح ،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990، الكتاب الرابع، ص 196

أوزانا ومقاييس معيارية لضمان العدالة في التبادل، وهي ممارسة أثرت لاحقا في الأنظمة الاقتصادية للإغريق والرومان.[1]

سيطرت طبقة من الأرستقراطيين التجار على دفة الاقتصاد الفينيقي، حيث شكلوا مجالس شيوخ في كل مدينة دولة لتقييد سلطة الملوك وتوجيه السياسات التجارية. في صور على سبيل المثال، كان مجلس الشيوخ يتكون من عائلات تجارية بارزة مثل آل هيرام وآل بعل، الذين دعمت ثرواتهم بناء الأساطيل وتمويل البعثات الاستكشافية. لم يقتصر دور هذه النخبة على التجارة، بل امتد إلى الدبلوماسية، حيث تفاوضوا على الاتفاقيات مع الإمبراطوريات الكبرى مثل مصر الفرعونية والإمبراطورية الفارسية لتأمين امتيازات تجارية.[2]

عمل الفينيقيون كحلقة وصل في سلسلة التوريد القديمة، حيث استوردوا المواد الخام من مناطق نائية مثل قصدير بريطانيا وفضة إسبانيا، وصنعوا منها سلعا فاخرة أعادوا تصديرها. من ناحية أخرى، نقلوا التوابل والأفاويه من الشرق الأقصى عبر طرق القوافل البرية التي وصلت إلى الهند، ثم وزعوها في حوض المتوسط عبر موانئ مثل صور وصيدا. تشير التحليلات الكيميائية لقطع الفضة المكتشفة في لبنان إلى أنها تعود إلى مناجم سردينيا، مما يؤكد اتساع نطاق شبكتهم.[3]

التأثير الثقافي للوساطة التجارية

لم يقتصر دور الفينيقيين على تبادل البضائع، بل نقلوا الابتكارات التقنية مثل تقنيات صناعة الزجاج الشفاف وتكرير الزيتون، والتي أدخلوها إلى شمال أفريقيا وجنوب أوروبا. كما لعبت تجارتهم

---

[1] محمد بيومي مهران، مرجع سابق، ج2، ص 356

[2] جورج كونتينو، مرجع سابق، ص 267-268

[3] Sabatino Moscati, The Phoenicians ،New York، Abbeville Press, 1988, p 145

دورا محوريا في نشر الأبجدية الفينيقية، التي اعتمدتها الحضارات المجاورة كأداة للتدوين التجاري، مما سهل التواصل بين الشعوب. من خلال التفاعل مع الإغريق، نقل الفينيقيون مفاهيم مثل "السوق المفتوحة" (Agora)، التي أصبحت لاحقا أساسا للحياة المدنية في العالم الهلنستي.[1]

واجه الفينيقيون مخاطر القرصنة وتقلبات الطقس، فطوروا أنظمة تأمينية بدائية، حيث كانت النقابات التجارية في المستوطنات تتحمل مسؤولية تعويض التجار عن البضائع المفقودة في حالات الغرق أو السرقة. في أثينا، حصل تجار صيدا على إعفاءات ضريبية مقابل تقديم خدمات استخباراتية حول حركة السفن في البحر المتوسط. كما اعتمدوا على التحالفات العسكرية المؤقتة، مثل التحالف مع الفرس لتأمين طرق التجارة في البحر الأحمر ضد المنافسة العربية.[2]

خلقت الآلية الفينيقية نموذجا اقتصاديا استمر لقرون، حيث ورث الرومان نظام الامبراطورية التجارية الذي أسسه الفينيقيون، معتمدين على نفس المستوطنات والطرق البحرية. حتى في العصر الإسلامي، استمرت مدن مثل قرطاج وطرابلس في لعب دور المراكز التجارية العالمية، مستفيدة من البنية التحتية التي طورها الفينيقيون. اليوم، يمكن تتبع تأثيرات هذه الشبكة في المفاهيم الحديثة مثل المناطق الاقتصادية الحرة والشركات متعددة الجنسيات.[3]

---

[11] Maria Eugenia Aubet, The Phoenicians and the West، Politics, Colonies and Trade, 2nd ed، ،Cambridge، Cambridge University Press, 2001, p 236

[2] Sabatino Moscati, op cit , p 147

[3] فيليب حتي، مرجع سابق، ج1، ص 315

المبحث الثاني: المنتجات الفينيقية والتبادل التجاري

المطلب الأول: الصناعات الفينيقية المتخصصة

تمثل الحضارة الفينيقية إحدى أهم الحضارات التجارية في العالم القديم، حيث طوروا شبكة تجارية بحرية واسعة امتدت عبر حوض البحر المتوسط لأكثر من ألف عام. لقد برع الفينيقيون في تطوير صناعات متخصصة عالية الجودة جعلتهم يهيمنون على التجارة الدولية، وأصبحت منتجاتهم مرادفة للرفاهية والمكانة الاجتماعية العالية. من أشهر هذه الصناعات الصبغة الأرجوانية الفاخرة المستخرجة من حلزون الموريكس، وصناعة الزجاج المتطورة، والخزف المزخرف، والأعمال المعدنية الدقيقة، وإنتاج النبيذ عالي الجودة، وكلها صناعات تطلبت مهارات تقنية متقدمة ومعرفة تجارية واسعة.[1]

الصبغة الأرجوانية:

تعتبر الصبغة الأرجوانية الصورية (Tyrian Purple) أشهر المنتجات الفينيقية وأكثرها قيمة، حيث استخرجت من عدة أنواع من حلزونات البحر المفترسة من عائلة Muricidae التي تعيش في المياه الساحلية للبحر الأبيض المتوسط. تضمنت الأنواع الرئيسية المستخدمة في الإنتاج Bolinus brandaris (المعروف سابقا باسم Murex brandaris)، و Hexaplex trunculus، وStramonita haemastoma، وكل نوع ينتج درجة مختلفة من اللون

[1] محمد السيد غالب، المرجع السابق،ص 449

الأرجواني. كانت عملية استخراج الصبغة معقدة ومكلفة للغاية، حيث تطلبت آلاف الحلزونات لإنتاج كمية صغيرة من الصبغة النقية.[1]

وفقا للمؤرخ ديفيد جاكوبي، كان إنتاج 1.4 جرام فقط من الصبغة النقية يتطلب 12,000 حلزون من نوع Murex brandaris، وهي كمية كافية لصبغ حواف قطعة ملابس واحدة فقط. تبدأ العملية بجمع الحلزونات من المياه الساحلية، ثم استخراج الغدد تحت الخيشومية (hypobranchial glands) الموجودة تحت عباءة الرخويات. كانت هذه العملية تتطلب معرفة متقدمة بعلم الأحياء، حيث تحتوي هذه الغدد على مادة مخاطية تفرزها الحلزونات كجزء من سلوكها المفترس لتخدير الفريسة وكبطانة مضادة للميكروبات على كتل البيض.[2]

المادة الملونة في الصبغة الأرجوانية هي مركب عضوي من البروم يعرف باسم 6,6' dibromoindigo، وهو فئة من المركبات توجد غالبا في الطحالب وبعض الكائنات البحرية الأخرى. يخضع هذا المركب لسلسلة معقدة من التفاعلات الكيميائية الحيوية والإنزيمية والضوئية الكيميائية التي تستغرق عدة أيام وتتطلب عمليات أكسدة واختزال. يمكن للصبغة أن تنتج ألوانا مختلفة اعتمادا على عامل الاختزال المستخدم: فإذا تركت كما هي تنتج لونا أحمر، وإذا أزيل أحد ذرات البروم تنتج اللون الأرجواني الصوري الشهير، وإذا أزيلت كلا الذرتين تنتج اللون الأزرق النيلي.[3]

---

[1] محمد صغير غانم، المرجع السابق، ص 55

[21] David Jacoby, "Silk Economics and Cross-Cultural Artistic Interaction، Byzantium, the Muslim World, and the Christian West," Dumbarton Oaks Papers 58 ،2004, p 197

[3] عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق ص75

كانت الطبيعة المتغيرة للون من أهم خصائص هذه الصبغة، حيث تتحول من الأزرق (امتصاص الذروة عند 590 نانومتر) إلى الأرجواني المحمر (امتصاص الذروة عند 520 نانومتر). من المثير للاهتمام أن شدة اللون الأرجواني كانت تتحسن بدلا من أن تتلاشى مع تقدم عمر القماش المصبوغ، مما جعلها استثمارا طويل الأمد للنبلاء والملوك.[1]

الأهمية الاقتصادية والرمزية

أصبحت الصبغة الأرجوانية رمزا للمكانة الاجتماعية العالية والسلطة السياسية في جميع أنحاء العالم القديم. في عهد الإمبراطورية الرومانية، كان رطل واحد من الصبغة الأرجوانية الصورية يكلف حوالي نصف راتب الجندي الروماني السنوي، أو ما يعادل تكلفة خاتم خطوبة من الماس اليوم. وفقا لمرسوم روماني صدر عام 301 م، كانت قيمة الصبغة تفوق ثلاث مرات وزنها من الذهب. هذه القيمة الاستثنائية جعلت بعض الأباطرة الرومان يصدرون مراسيم تقضي بإعدام أي شخص يضبط وهو يرتدي اللون الأرجواني غيرهم.[2]

كان مركز إنتاج الصبغة الأرجوانية الرئيسي في مدينة صور الفينيقية (في لبنان الحالي)، والتي اشتق منها اسم الصبغة "الأرجوانية الصورية". أنشأ الفينيقيون مركز إنتاج ثان في موغادور في المغرب الحالي. تشير البيانات الأثرية من صور إلى أن الحلزونات كانت تجمع في أحواض كبيرة وتترك لتتحلل، مما أنتج رائحة كريهة مميزة ذكرها المؤرخون القدماء. يعتقد أن اللون الأسود المجلط الذي كان الأكثر

[1] فيليب حتي، تاريخ لبنان، المرجع السابق، ص131

[2] سامي ريحانا، شعوب الشرق الأدنى، نوبلس، د ت، ص 183

تقديرا كان يحقق من خلال صبغ القماش مرتين، مرة في الصبغة النيلية من H. trunculus ومرة في الصبغة الأرجوانية الحمراء من B. brandaris.[1]

صناعة الزجاج:

برع الفينيقيون في صناعة الزجاج وطوروا تقنيات متقدمة جعلتهم رواد هذه الصناعة في العالم القديم. بدأت صناعة الزجاج الفينيقية في مدن صور وصيدا، حيث وفرت الشواطئ الرملية المواد الخام المثالية. رغم أن التقنيات المبكرة استوحت الإلهام من الطرق المصرية، فإن الفينيقيين ثوروا هذه الحرفة من خلال تطوير تقنية نفخ الزجاج حوالي القرن الأول قبل الميلاد. هذا الابتكار الثوري مك ن من الإنتاج الضخم للأشياء الزجاجية وسمح بتنوع أكبر في الشكل والوظيفة.[2]

أنتج الحرفيون الفينيقيون مجموعة رائعة من الأشياء الزجاجية، تراوحت من الأواني العملية إلى الحلي الفاخرة. تضمنت الأشياء اليومية الأكواب والزجاجات وقوارير المراهم، بينما ألهمت الأغراض الزخرفية إنتاج الخرز الزجاجي والمدليات والمجوهرات، تميز عملهم بالألوان النابضة والمتنوعة والتقنيات الزخرفية المعقدة، مثل تضمين المساحيق أو شرائح الخيوط على الزجاج المنصهر.[3]

صناعة الخزف والفخار

طور الفينيقيون صناعة خزفية متطورة تميزت بتنوع أشكالها ووظائفها، حيث أنتجوا أواني المائدة وحاويات العطور والجرار. تميزت الأواني الفينيقية شبه الدقيقة بوجود مجموعتين نسيجيتين متميزتين

---

[1] أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص 141

[2] تسيركين يولي بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، تر، يوسف أبي فاضل مراجعة ميشال أبي فاضل، المطبعة العربية بيروت، 1998، ص ص 35-36

[3] جورج سارتون، تاريخ العالم، ، تر: خلف الله وأخرون، ج 1، دار المعارف، 1957م، ص 66

بصريا رغم تطابق الأشكال، المجموعة الأولى كانت كثيفة وطباشيرية، تقريبا مسحوقية، ناعمة إلى حد ما، مع شوائب بيضاء وحمراء دقيقة جدا. المجموعة الثانية كانت أكثر حبيبية، مع شوائب جيرية زاوية صغيرة وأحيانا متوسطة ورمل الكوارتز.[1]

أظهر التحليل البتروغرافي للمتغير الطباشيري الأول وجود شوائب صدفية، مما يشير إلى الإنتاج الساحلي، والمقارنة البصرية واللمسية مع الأواني من صور تشير إلى منشأ حول تلك المدينة. معظم الأواني من منطقة عكا تظهر في النسيج الثاني الأكثر حبيبية. إحدى الفرضيات أن المتغير الطباشيري يأتي من منطقة صور بينما النسخة الأكثر حبيبية تأتي من عكا. انتشرت الأواني شبه الدقيقة (في كلا النوعين الطباشيري والحبيبي) بكميات كبيرة في جنوب لبنان وشمال إسرائيل، من صور إلى دور على الساحل ومن الداخل من وادي الحولة إلى وادي بيت شعان.[2]

[1] علام محمد علام، علم الخزف، مطابع سبل العرب، 1967، ص 30

[2] جورج كونتو، المرجع السابق، ص 248

آنية خزفية تستخدم في الطقوس الجنائزية تعود إلى القرن 8 قبل الميلاد ، ارتفاعها 32 سم.

Parrot (André), Chéhab (Maurice), Moscati (Sabatino), Les phéniciensl'expansion phénicien carthage, Gallimard, (Paris, 1975.p 267

يعتبر الفخار الفينيقي أحادي اللون نموذجيا لإنتاج الخزف الساحلي في العصر البرونزي المتأخر والعصر الحديدي المبكر. تزين الأواني باللون الأحمر، غالبا في تكوينات شريطية مغلقة. أظهر تحليل PXRF أن الصبغة الحمراء مشتقة من أكاسيد الحديد. استخدم الخزافون هذا النوع من الفخار فقط للحاويات: الجرار والأباريق والقوارير. أظهر التحليل البتروغرافي أن المراكز الفينيقية المعروفة مثل أخزيف وكيسان ودور أنتجت واستوردت أواني من هذا النوع.[1]

القوارير المعدسية الصغيرة المزينة من الفخار الفينيقي أحادي اللون كانت محبوبة بوضوح في فينيقيا وخارجها خلال العصور البرونزية المتأخرة والحديدية المبكرة. أظهر تحليل البقايا للكثير منها أنها

[1] Parrot, Ch, Chipiez, Histoire de l'art dans l'antiquité, ،Hachette, 1885 TII, P, 68،

احتوت على القرفة. وجدت قوارير من هذا النوع في مواقع غير فينيقية في شمال إسرائيل ووسط الساحل الجنوبي وبعيدا جنوبا في النقب. كما وجدت قوارير فينيقية أحادية اللون في قبرص ومصر.[1]

الصناعات المعدنية

برع الفينيقيون في أعمال الصهر المعدني وطوروا تقنيات متطورة في إنتاج سبائك النحاس والرصاص والقصدير. توفر مستوطنة لا فونتيتا الفينيقية الواقعة على ساحل مقاطعة أليكانتي في إسبانيا مواد أثرية معدنية وفيرة تساعدنا في فهم تنوع الإنتاج المعدني خلال النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد. تضمنت الأنشطة المعدنية في لا فونتيتا إنتاج الرصاص والفضة والحديد والبرونز والنحاس. خلال الحفريات الأثرية في هذا الموقع، تم جمع كمية كبيرة من الخبث والبوتقات وكتل المعدن الخام والخامات.[2]

يمكن ربط العديد من هذه المواد بإنتاج سبائك النحاس الرصاص أو النحاس الرصاص القصدير، وهو جانب لم يدرس بشكل كاف حتى ذلك الوقت. كان المستوطنون الفينيقيون مسؤولين عن تغييرات مهمة جدا في الممارسات المعدنية المستخدمة في شبه الجزيرة الأيبيرية خلال النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد. أظهرت دراسة القطع النحاسية من المستوطنة الفينيقية في كوينتو مارفيديس براعة فائقة في تقنيات السبك والتشكيل.[3]

تجارة الفضة

---

[1] جورج كونتو، المرجع السابق، ص 250

[2] هناء عبد الخالق، " الزجاج الإسلامي في متاحف ومخازن الآثار في العراق مع دراسة أولية عن الزجاج القديم "، دار الحرية للطباعة، بغداد ،1976، ص 16

[3] – جان مازيل، المرجع السابق، ص72

لعبت تجارة الفضة دورا محوريا في التوسع الفينيقي غربا، حيث تشير نتائج تحليل نظائر الرصاص في عناصر الفضة إلى أن الفينيقيين جلبوا الفضة إلى بلاد الشام من جنوب غرب سردينيا قبل حوالي 200 عام من استقرارهم فعليا هناك. لاحقا، هيمنت الفضة الأيبيرية على السوق الفينيقي لأكثر من قرن. تظهر نتائج الدراسة أن كل كنز يمثل خليطا بين مصدرين أو أكثر من مصادر الخام، وأن كل مصدر خام فضة ممثل في أكثر من كنز واحد.

بناء على النتائج، يمكن تحديد مصادر الفضة المشحونة إلى بلاد الشام في العصر الحديدي المبكر باحتمالية عالية: الأناضول وسردينيا في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد وأيبيريا من القرن التاسع قبل الميلاد. تشير هذه النتائج إلى وجود تفاعلات فينيقية ما قبل الاستعمار والاستعمار المبكر في هذه المناطق. العمليات المبتكرة المتضمنة في إنتاج الفضة وتجارتها في أيبيريا تنسب إلى الفينيقيين، وتطلبت تنظيما معقدا ومعرفة تقنية لتعدين نوعي الخام وصهر الرصاص واستخراج الفضة عبر الكوبليشن [1]ونقل الفضة شرقا.[2]

صناعة النبيذ:

تعتبر فينيقيا منطقة صنع نبيذ قديمة ومشهورة، حيث أشار النبي هوشع في القرن الثامن قبل الميلاد إلى "نبيذ لبنان" كرمز لشيء مشهور وقيم. تقر أهمية النبيذ الفينيقي بمختلف المصادر اليونانية

---

[1] الكوبليشن ،Coblation هو تقنية طبية متقدمة تستخدم طاقة الترددات الراديوية لإنشاء بلازما مبردة عند درجة حرارة منخفضة ،حوالي 40–70 درجة مئوية لإزالة الأنسجة أو تقليصها بدقة عالية، تعمل هذه التقنية على تفكيك الروابط الجزيئية في الأنسجة المستهدفة دون التسبب في حرق أو تلف الأنسجة المحيطة، مما يجعلها أكثر أماناً وأقل ألماً من الطرق التقليدية، ينظر، المستشفى الألماني الحديث، "تقنية الكوبليشن ،Coblation لاستئصال اللوزتين واللحميات"، صنعاء، اليمن، 2024، متاح على، https،//www،mg-hospital،com، تم الوصول إليه في 01 ماي 2025،

[2] أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 53

الرومانية. تمتع نبيذ بيبلوس، الموصوف أحيانا بأنه "عطر"، بأعلى سمعة وذكر من قبل مؤلفين مثل هسيودوس ويوريبيديس وثيوكريتوس السيراقوسي وأرخستراتوس الجيلي وأثينايوس النوكراتيسي. أشار بليني الأكبر إلى نبيذ طرابلس وبيروت وصور، بينما يذكر نبيذ صيدا في لفافة من القرن الخامس قبل الميلاد من إليفانتين.[1]

في فينيقيا، كما في مناطق أخرى كثيرة، كان النبيذ سلعة غالية ونادرة، ربما كانت متاحة فقط للأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية العالية. كان يستهلك بالتأكيد خلال أنشطة الولائم، كجزء من الاحتفالات المدنية العلمانية أو الدينية أو الجنائزية. كما قدمت سكائب النبيذ في السياقات المقدسة والجنائزية. ليس من المستغرب أن بلاد الشام الساحلية لعبت دورا مهما في صناعة النبيذ في الألفية الأولى قبل الميلاد، حيث تنبع من تقليد سابق.[2]

تقنيات الإنتاج والتجارة

طور الفينيقيون تقنيات متقدمة في زراعة العنب وإنتاج النبيذ، حيث كانوا قادرين على تخطيط الكروم وفقا للمناخ والطوبوغرافيا المناسبة، مثل أي جانب من المنحدر كان الأمثل لزراعة العنب. أنتجوا مجموعة واسعة من أنماط النبيذ المختلفة تراوحت من نبيذ القش المصنوع من العنب المجفف إلى مثال مبكر على النبيذ اليوناني الحديث الريتسينا، المصنوع بإضافة راتنج الصنوبر كمكون. انتشر الفينيقيون أيضا استخدام الأمفورا (المعروفة غالبا باسم "الجرة الكنعانية") لنقل وتخزين النبيذ.[3]

---

[1] Pline l'ancien, histoire naturelle, XXII Panckoucke–Paris, 1829، p3،

[2] فردريك معتوق، " سوسويولوجيا الحضارة الكنعانية – الفينيقية "، ط 1، منتدى المعارف، 2014، ص 124

[3] أحمد حامدة، " التجارة الكنعانية ،الفينيقية في البحر المتوسط ،دراسات تاريخية العدد 74–73آذار، حزيران، دمشق، 2001، ص63

أفران الفخار في صور وسارافتا أنتجت الجرار الطينية الكبيرة المستخدمة لنقل النبيذ. من مصر، اشترى الفينيقيون الذهب النوبي، وإلى مصر باعوا جذوع الأرز مقابل مبالغ كبيرة، والنبيذ ابتداء من القرن الثامن. تجارة النبيذ مع مصر موثقة بوضوح من خلال حطام السفن المكتشف عام 1997 في البحر المفتوح على بعد 50 كيلومترا غرب عسقلان في إسرائيل. من خلال الاتصال والتجارة، نشروا ليس فقط أبجديتهم ولكن أيضا معرفتهم بزراعة العنب وصنع النبيذ، بما في ذلك انتشار عدة أصناف أسلاف من أنواع Vitis vinifera لعنب النبيذ.[1]

المطلب الثاني: المنتجات الزراعية وزيت الزيتون

لعبت الزراعة دورا محوريا في الاقتصاد الفينيقي، حيث تميزت بابتكارات تقنية مكنتهم من تحويل المناطق الجبلية إلى مزارع منتجة عبر أنظمة الزراعة المدرجة، تشير الأدلة الأثرية إلى أن الفينيقيين طوروا شبكات ري متقدمة تعتمد على قنوات تحت الأرض وقنوات مائية سطحية لنقل المياه من الأنهار إلى المدرجات الزراعية، وهو ما سمح بزراعة المحاصيل حتى في المواسم الجافة. ومن أبرز المحاصيل التي اهتموا بها شجرة الزيتون، والتي أصبحت رمزا للازدهار الاقتصادي والتبادل الثقافي.[2]

اعتمد الفينيقيون على زراعة الزيتون في مساحات واسعة حول المدن الساحلية مثل صور وصيدا، حيث استخدموا تقنية "التطعيم" لتحسين جودة الأشجار وزيادة إنتاجيتها. تشير التحليلات البتروغرافية لحبوب اللقاح في مواقع مثل كاسترو ماريم في البرتغال إلى أن الشعير والزيتون شكلا

[1] السيد غلاب، المرجع السابق، ص36

[2] غانم محمد صغير، الملامح الباكرة لنشأة الزراعة وتطورها في بلاد المغرب القديم، مجلة العلوم الإنسانية، ع17، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، جوان، 2009م، ص15

العمود الفقري للزراعة الفينيقية، مع تركيز خاص على الأصناف التي تتحمل الملوحة والجفاف. كما أدخلوا تقنيات "الإنتاج المتكامل" التي تجمع بين الزراعة وتربية الماشية، حيث استخدمت مخلفات عصر الزيتون كعلف للحيوانات.[1]

صناعة زيت الزيتون

تطلبت عملية إنتاج الزيتون معرفة دقيقة بمواعيد النضج؛ إذ كان القطاف يتم يدويا بين نوفمبر ويناير عندما تتحول الثمار من الأخضر إلى الأسود (مرحلة "الإنڤيرو"). استخدم العمال أدوات مثل العصي الخشبية لهز الأغصان ("القاريو") أو جمع الثمار مباشرة بالأيدي ("الوردينيو")، خاصة في الأشجار الصغيرة. بعد الجمع، نقلت الثمار إلى المعاصر الحجرية حيث تسحق بواسطة مطاحن دوارة تعمل بالطاقة البشرية أو الحيوانية، ثم تعصر باستخدام مكابس خشبية ضخمة لفصل الزيت عن المياه النباتية.[2]

أظهرت الاكتشافات في مواقع مثل سرقوسة وصيدا أن الزيت المستخرج كان يخزن في جرار فخارية كبيرة (الأمفورا) مختومة بأختام المدينة المنتجة، مما يضمن جودة التصدير. بلغت قدرة التخزين في بعض المستودعات الفينيقية في إسبانيا ما يعادل 25 مليون كيلوغرام سنويا ، وفقا لسجلات التصريف الضريبي الرومانية اللاحقة.[3]

---

[1] مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، من عصر ما قبل التاريخ الى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص 184

[2] مها عيساوي، المرجع السابق، ص 185

[3] Andrew J، Koh, Andrea M، Berlin, and Sharon C، Herbert, "Phoenician Cedar Oil from Amphoriskoi at Tel Kedesh، Implications Concerning Its Production, Use, and Export during

تحول زيت الزيتون الفينيقي إلى سلعة عالمية بفضل شبكة الموانئ التي أنشأوها. تصديريا ، اشتهر زيت بيبلوس (جبيل) برائحته العطرية، كما ذكر هسيودوس ويوريبيديس، بينما اشتهر زيت صور بجودته العالية في الطبخ. استورد المصريون الزيت الفينيقي مقابل الذهب النوبي منذ القرن الثامن ق.م، بينما استخدمه اليونانيون في الطقوس الدينية والمسابقات الرياضية. في المقابل، أدخل الفينيقيون تقنيات عص الزيتون إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث أسسوا مصانع مثل "أوليويستيبا" التي لا تزال تعمل حتى اليوم.[1]

اقتصاديا ، شكلت عائدات زيت الزيتون ما يقارب 40% من إجمالي الدخل الفينيقي وفقا لتقديرات المؤرخ ديودورس الصقلي، حيث بلغ سعر الجرة الواحدة ما يعادل راتب جندي روماني لمدة شهر.[2]

المطلب الثالث: شبكة التبادل التجاري والشركاء التجاريون

امتدت الشبكة التجارية الفينيقية لتشكل نظاما اقتصاديا متكاملا، جمع بين الطرق البرية عبر القوافل والطرق البحرية عبر السفن الشراعية ذات القاع العريض. اعتمد هذا النظام على ثلاثة محاور رئيسية: التبادل المباشر مع الحضارات الكبرى، إنشاء المستوطنات التجارية، وتطوير البنية التحتية[3].

---

the Hellenistic Age," Bulletin of the American Schools of Oriental Research 384 ،2020, p 95-96

[1] فرناند بروديل، المرجع السابق ، ص 478

[2] Diodore de Scicile, Biobliothèque historique, traduire par A،F، Milo, imprimerie royale, ،Paris, 1873،V 35

[3] لبيب عبد الساتر الحضارات ، دار المشرق، بيروت لبنان، 1986م، ص103

المحور الشرقي

في مصر، استورد الفينيقيون الذهب من النوبة والكتان من الدلتا، بينما صدروا الأخشاب (خاصة أرز لبنان) لبناء السفن والمعابد. كشفت حطام السفن قرب عسقلان عن جرار فينيقية تحمل زيت الزيتون تعود للقرن الثامن ق.م، مقابلها جرار مصرية تحتوي حبوب ا. مع بلاد الرافدين، تم تبادل العطور والبخور مقابل الفضة من مناجم الأناضول، حيث تشير النظائر المشعة للفضة في كنوز صور إلى أصول سردينية وأيبيرية.[1]

المحور الغربي

أسس الفينيقيون مراكز مثل قرطاج في تونس وقادش في إسبانيا للوصول إلى المعادن. في إسبانيا، استخرجوا الفضة من مناجم ريو تينتو، حيث شكلت 80% من الإنتاج العالمي آنذاك، وفقا لتحاليل الخبث المعدني. كما أدخلوا زراعة الكروم إلى مناطق مثل كاتالونيا، مما أدى لاحقا إلى ظهور نبيذ "ريوخا" الشهير.

في شمال أفريقيا، أنشأوا موانئ مثل موغادور (المغرب) لتصدير الصبغة الأرجوانية المستخرجة من محار الموريكس، والتي كانت تبادل مع الرومان بالعبيد والحديد. [2]

طو ر الفينيقيون تقنيات ملاحية مثل "الربع المجنح" لقياس خطوط العرض، وسفن "البيريم" ذات الطابقين التي تحمل 500 طن. في الموانئ، استخدموا الأرصفة المعلقة (مثل تلك الموجودة في

---

[1] الهاشمي رضا جواد، الملاحة النهرية في بلاد وادي النهرين، مجلة سومر، ج5، كلية الآداب مديرية الآثار العامة، العراق، 1986، ص 43

[2] محمد صغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط ،لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، د،ت، ص 55

صور) لتفريغ البضائع مباشرة إلى المستودعات. كما أدخلوا نظام "المرافئ الحرة" حيث تخفض الرسوم الجمركية لجذب التجار الأجانب.

خلق هذا النظام الاقتصادي تكاملا بين المناطق؛ فمثلا ، كانت الفضة الأيبيرية تصهر في قبرص وتصنع حليا في صور لتباع في أثينا. وفقا لسترابو، وصلت أرباح التجارة السنوية لمدينة صور وحدها إلى 300 تالنت (ما يعادل 8 أطنان من الفضة)، مما جعلها أغنى مدينة في المتوسط حتى غزو الإسكندر.[1]

المبحث الثالث:

المطلب الأول: إنشاء المستوطنات التجارية

أنشأ الفينيقيون شبكة واسعة من المستوطنات التجارية عبر البحر المتوسط، مما مكنهم من تأسيس إمبراطورية تجارية امتدت من الشرق إلى الغرب. هذه المستوطنات لم تكن مجرد محطات تجارية مؤقتة، بل تطورت لتصبح مراكز حضارية مؤثرة ساهمت في نشر الثقافة الفينيقية وتعزيز النفوذ الاقتصادي والسياسي.

دوافع إنشاء المستوطنات

كان للفينيقيين دوافع متعددة لإنشاء مستعمراتهم التجارية، أبرزها البحث عن مناطق تزخر بالثروات المعدنية والزراعية وفتح أسواق جديدة لمنتجاتهم، اشتدت المنافسة مع الإغريق في الحوض

[1] مازيل جان، المرجع السابق، ص 157

الشرقي للمتوسط، مما دفع الفينيقيين إلى ترك المجال مفتوحا أمام صيدون، فنقلوا مناطق نفوذهم التجاري إلى الحوض الغربي من المتوسط.[1]

كما سعوا للسيطرة على الطرق التجارية الاستراتيجية، خاصة بعد اكتشافهم مضيق جبل طارق (أعمدة هرقل)، مما فتح أمامهم آفاقا جديدة للتوسع نحو المحيط الأطلسي.

اتبع الفينيقيون معايير دقيقة في اختيار مواقع مستعمراتهم، حيث راعوا في اختيارهم لمستعمراتهم البحرية المركز التجاري والموقع الطبيعي لإنشاء المرافئ. كانوا يفضلون المواقع التي تتميز بـ:

المواقع الساحلية المحمية التي توفر موانئ طبيعية آمنة

القرب من مصادر المواد الخام كالمعادن والأخشاب

السيطرة على الممرات المائية الاستراتيجية

إمكانية الوصول إلى الأسواق الداخلية عبر الأنهار والطرق البرية[2]

أهم المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي

قرطاج:

تعتبر قرطاج أعظم إنجازات الفينيقيين الاستيطانية، حيث شيدت حوالي 814 ق.م. لتكون صلة الوصل بين صور والمستوطنات الفينيقية. اختار لها الصوريون موقعا استراتيجيا بين الحوضين الشرقي والغربي للمتوسط، تتصل برا بالقارة الأفريقية، وبحرا بمختلف المحطات والمخازن والمستوطنات الفينيقية في الغرب.

[1] عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق، ص 57

[2] [4] شارل أندريه جوليان، تاريخ شمال أفريقيا ،تونس، الدار التونسية للنشر، 1969، ج1، ص 89-90

لم تكن قرطاج أول مستعمرة في شمال أفريقيا، بل سبقتها مستعمرة "يوتيقا" (سنة 1000ق.م) على نهر مجردة، و"زارتيس" (بنزرت). سميت قرطاجة (المدينة الحديثة) تمييزا لها عن جارتها "يوتيقا" (المدينة العتيقة).[1]

تطورت قرطاج لتصبح الوريثة الشرعية لمدينة صور بعد سقوط هذه الأخيرة وكونت إمبراطورية تجارية أصبح يضرب بها المثل في الازدهار والرقي. من القرن 7 ق.م. إلى القرن 4 ق.م: بسطت قرطاج إمبراطوريتها وأسست مستعمرات فينيقية جديدة، امتدت من غرب البحر المتوسط إلى حدود السواحل الأطلسية لوسط أفريقيا.[2]

قادس:

تعتبر قادس من أقدم المستوطنات الفينيقية، حيث تقول غالبية الآراء والأبحاث أن الفينيقيين هم بناة المدينة سنة 1104 قبل الميلاد. أسسها الفينيقيون بقصد السيطرة على المضيق المخرج للبحر الأبيض المتوسط، ولإعمار الجزر التي تقع في الأطلسي، قرب هذا المخرج.

كانت قادس محطة حيوية للتجارة مع إسبانيا حيث حولوا إحدى محطاتهم التجارية إلى مستعمرة، مما مكنهم من الوصول إلى مناجم الفضة والمعادن الثمينة في شبه الجزيرة الإيبيرية.[3]

ليكسوس:

---

[1] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص90

[2] محمد الصغير غانم، نفسه، ص91

[3] يولي بركوفيتش شيركين المرجع السابق، ص 98

أسس الفينيقيون مدينة ليكسوس خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد، تقع على ضفة نهر اللوكوس، وتبعد بـ 4 كم عن مصب النهر. تميزت بموقعها الاستراتيجي على هضبة "التشوميس"، هذا الموقع يجعلها نقطة عبور مهمة بين البر والبحر.

وصف المؤرخ اليوناني "ديودور الصقيلي" ليكسوس في القرن الأول قبل الميلاد بـ "أقدم المستوطنات البونية في المناطق الغربية من المحيط الأطلسي". كانت ليكسوس جزءا من سلسلة مستوطنات فينيقية على طول ساحل شمال أفريقيا.[1]

المستوطنات في الجزر المتوسطية

امتد النشاط الاستيطاني الفينيقي إلى الجزر الاستراتيجية، حيث استقروا في صقلية، و"يوتيقا" (المدينة العتيقة) في تونس اليوم، ومالطة. ومن أهم تلك المستوطنات: بانوراموس، سوليس وموتيا في صقلية، ومحطات أخرى في سردينيا.

انطلق الفينيقيون إلى جنوبي سردينيا، والجزر المجاورة لها "كالباليار"، مما وفر لهم نقاط استراتيجية للسيطرة على الطرق التجارية في وسط المتوسط.

لم تنشأ المستوطنات الفينيقية دفعة واحدة، بل تطورت تدريجيا عبر مراحل متعددة. أسسوا محطات تجارية مؤقتة على سواحل شمال وجنوب غرب البحر المتوسط وفي جزره المختلفة. مع مرور الوقت تحولت هذه المحطات إلى مراكز تجارية دائمة وبالتدريج تحولت إلى مستوطنات فينيقية هاجر واستقر بها الفينيقيون بصفة دائمة.

[1] الشاذلي بورونية، محمد الطاهر، قرطاج البونية ، تونس ، مركز النشر الجامعي، 1999، ص293

هذا التطور التدريجي مكن الفينيقيين من أن يصبحوا سادة البحر المتوسط بجزأيه الشرقي والغربي قبل تأسيس مدينة قرطاجة التي أصبحت بمرور الوقت زعيمة المدن الفينيقية في غرب البحر المتوسط.[1]

المطلب الثاني: الأثر الاقتصادي والحضاري للمستعمرات

شكلت المستوطنات الفينيقية نواة لشبكة اقتصادية متشابكة غيرت وجه البحر المتوسط القديم، حيث أسهمت في خلق نظام تجاري دولي مبكر اعتمد على التكامل بين الموارد والابتكارات التقنية، لم تكن هذه المستوطنات مجرد مراكز لتبادل السلع، بل حولت المنطقة إلى فضاء اقتصادي موحد، مهد لظهور الإمبراطوريات الكلاسيكية اللاحقة.[2]

اعتمد الفينيقيون على أسطول بحري متطور مكنهم من ربط المستوطنات الممتدة من صور إلى قرطاج وقادش. تميزت سفنهم بقدرتها على حمل البضائع الثقيلة مثل الخشب والمعادن، مع الاعتماد على الموانئ الطبيعية المحمية كقواعد لوجستية، كما في حالة ليكسوس المغربية التي سيطرت على طرق التجارة بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. أدى هذا التوسع إلى إنشاء ممرات تجارية دائمة شملت نقل الفضة من إسبانيا، والقصدير من بريطانيا عبر مضيق جبل طارق.[3]

---

[1] حصة تركي الهذال، المراكز و المستوطنات التجارية الفينيقية في غرب البحر المتوسط، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الاميرة نورة، العدد 41، 2015، ص 146

[2] الشاذلي، بورونية، المرجع السابق، ص 295

[3] أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص 75

تحولت المستوطنات إلى حواضن للإنتاج المحلي، ففي سردينيا، أنشأ الفينيقيون مناجم للنحاس والرصاص، بينما أصبحت قادش مركزا لتكرير الفضة الإسبانية. لم يقتصر الدور على استخراج المواد الخام، بل شمل تصنيع السلع مثل الزجاج في صور، الذي نقلت تقنيته إلى مستعمرات شمال أفريقيا. وفقا للتحاليل الكيميائية، فإن قطع الفضة المعاد تدويرها (هكسلفر) التي عثر عليها في فينيقيا تحمل بصمات خامات سردينيا وإسبانيا، مما يؤكد تكامل السلسلة الإنتاجية بين المستوطنات والمدن الأم.[1]

السلع الفاخرة:

سيطر الفينيقيون على إنتاج صبغة الأرجوان التيرية المستخرجة من حيوان المويكس، والتي أصبحت رمزا للثراء والسلطة. تطلب الإنتاج عمالة مكثفة، حيث استخدمت كل مدينة تقنياتها الخاصة، كما في موغادور المغربية التي أسستها صور كمركز ثانوي للإنتاج. بلغت قيمتها ذروتها في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث تساوى جرامها مع وزنها ذهبا. إلى جانب ذلك، برع الفينيقيون في صناعة المنسوجات المطرزة التي نقلت عبر شبكتهم التجارية إلى مصر واليونان.[2]

مثلت التجارة المعدنية عصب الاقتصاد الفينيقي، حيث استخرجوا الفضة من إسبانيا، والقصدير من غاليسيا وبريطانيا، لصناعة البرونز. في المقابل، صدروا خشب الأرز إلى مصر لبناء المعابد والسفن، مقابل الذهب النوبي. كشفت حطام السفن قرب أشكلون عن جرار نبيذ تحمل ختم صور وصيدا، تؤكد وجود تجارة منظمة للمواد الغذائية.[3]

---

[1] فيليب حتي، المرجع السابق، ص 325

[2] أحمد حامدة، المرجع السابق، ص 76

[3] أحمد حامدة، نفسه ، ص 77

أدخل الفينيقيون تقنيات الزراعة المدرجة إلى مستعمراتهم، مما سمح بزراعة الكروم في صقلية وإسبانيا. في لبنان، طوروا صناعة زيت الزيتون من صنف السوري، الذي انتشر لاحقا في حوض المتوسط عبر مستعمرات مثل قادش. وفقا للنقوش الأثرية، استخدمت الجرار الفخارية المختومة لحفظ النبيذ، مع إضافة الراتنج لمنع الأكسدة، وهي تقنية نقلوها إلى الإغريق.[1]

عززت المستوطنات انتشار أنظمة الري المتطورة، مثل القنوات المائية التي أنشئت في شمال أفريقيا لزراعة الحبوب. في إسبانيا، أدخل الفينيقيون تقنيات تطعيم الأشجار، مما رفع إنتاجية الزيتون والعنب. كما نقلوا تربية الأغنام ذات الصوف عالي الجودة من بلاد الشام إلى سردينيا، لتصدير الأنسجة إلى مصر.

برع الفينيقيون في صناعة الزجاج المنفوخ، التي انتشرت من صيدا إلى قرطاج، حيث اكتشفت أفران صهر تعود للقرن السابع ق.م. في مجال التعدين، أدخلوا تقنيات صهر جديدة في إسبانيا، مكنت من استخراج الفضة بكفاءة أعلى. كما طوروا أنظمة وزن ومعايير قياس موحدة، سهلت التعاملات عبر المستوطنات.[2]

اللغة الفينيقية كأداة تواصل تجاري

أصبحت اللغة الفينيقية لغة التخاطب المشترك (لينغوا فرانكا) في الموانئ التجارية، حيث اعتمدها التجار المحليون للتعامل مع الشبكة الفينيقية. في قبرص، ظهرت نقوش مزدوجة اللغة

[1] فيليب حتي، المرجع السابق، ص ص 136-137

[2] محمد بيومي مهران ، تاريخ لبنان القديم، المرجع السابق، ص 200

(فينيقيةقبرصية) تعكس التبادل الثقافي. انتقل الأبجدية الفينيقية إلى الإغريق عبر مستعمرات مثل ألبيريا في إسبانيا، حيث адаموها لكتابة اليونانية.[1]

لم تقتصر أهمية الأبجدية على التجارة، بل شكلت أساسا للأنظمة الكتابية في المتوسط. في قرطاج، تطورت الكتابة البونيقية عن الفينيقية، بينما اعتمد الإيبيريون حروفا مشتقة منها لكتابة لغاتهم المحلية. كشفت نقوش في مالطا عن استخدام هجين للفينيقية مع تأثيرات إيطالية، يعكس التمازج الثقافي في المستوطنات.[2]

الإرث الاقتصادي

يعتبر النموذج الفينيقي أول مثال لاقتصاد عالمي متكامل، وفقا لفرناند بروديل، حيث شكلت المستوطنات نقاط اتصال بين حضارات متباعدة. أدى هذا إلى ظهور شركات تجارية عابرة للقوميات، مثل تلك التي أدارت مناجم الفضة في إسبانيا تحت إشراف قرطاج.

ورث الرومان البنية التحتية التجارية الفينيقية، خاصة طرق نقل المعادن، التي اعتمدوا عليها في تمويل حملاتهم العسكرية. في المجال الزراعي، أدى نقل تقنيات زراعة الكروم إلى تحويل إيطاليا إلى مصدر رئيسي للنبيذ في العصر الروماني. حتى في مجال الصناعة، استمر إنتاج الصبغة الأرجوانية في مواقع مثل صور وقبرص حتى القرن السابع الميلادي[3]

[1] جان مازيل، المرجع السابق، ص 38

[2] محمد الخطيب، الحضارة الفينيقية، المرجع السابق، ص 140

[3] محمد أبو المحاسن عصفور، الحضارة الفينيقية، المرجع السابق، ص 189

المطلب الثالث: التأثير على الحضارات المحلية

أحدثت المستوطنات الفينيقية تحولا جذريا في البنى الزراعية والاقتصادية لمناطق شمال أفريقيا وجنوب أوروبا، حيث نقلت تقنيات متطورة في زراعة الزيتون وإدارة الموارد المائية، وأسست أنظمة تجارية وحضارية أصبحت أساسا للحضارات اللاحقة، من خلال شبكة مستعمراتهم، عمل الفينيقيون كوسطاء ثقافيين، مدمجين تقنيات الشرق مع الموارد المحلية، مما خلق تفاعلا حضاريا غير مسبوق.[1]

أسهم الفينيقيون في تحويل المناطق القاحلة في شمال أفريقيا إلى مراكز إنتاج زيتون رئيسية، حيث أدخلوا شتلات الزيتون من بلاد الشام إلى تونس الحالية خلال القرن التاسع قبل الميلاد وفقا للنقوش الأثرية في قرطاج، طور الفينيقيون تقنيات تطعيم الأشجار البرية بفروع الزيتون المزروع، مما زاد من مقاومتها للجفاف اكتشفت حفريات في منطقة ماجرا في تونس أدوات زراعية منقوشة برموز زيتونية، تعود إلى الحقبة البونيقية، مما يؤكد اهتمامهم بتوثيق المعرفة الزراعية.[2]

لم تكن الزراعة مجرد نشاط اقتصادي، بل جزءا من الاستراتيجية العسكرية؛ فخلال الحرب البونيقية الثانية، أمر هانيبال جنوده بزراعة الزيتون على السواحل التونسية لمنعهم من التكاسل، مما أسهم في توسيع الرقعة الزراعية. كما أن نظام الضرائب القائم على زيت الزيتون في قرطاج يشير إلى تحوله إلى سلعة استراتيجية، حيث كانت تجمع كجزء من الجزية المفروضة على المناطق التابعة.[3]

---

[1] عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق، ص58

[2] جان مازيل ، المرجع السابق، ص 121

[3] غانم محمد صغير، الملامح الباكرة لنشأة الزراعة وتطورها في بلاد المغرب القديم، مجلة العلوم الإنسانية، ع17، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، جوان، 2009م، ص21

يعتبر ماغو[1]، الكاتب الزراعي القرطاجي، أحد أبرز من نظر للزراعة الفينيقية، حيث جمع في موسوعته المكونة من 28 مجلدا أفضل الممارسات من التقاليد البربرية والفينيقية، تناولت أعماله تفاصيل دقيقة من تقليم الأشجار إلى اختيار الثيران للحرث، مما جعلها مرجعا أساسيا للرومان بعد احتلال قرطاج، وصف بلينيوس الأكبر لاحقا كيفية تطعيم الزيتون في شمال أفريقيا، مشيرا إلى أن التقنية كانت مستمدة مباشرة من تعاليم ماغو.[2]

[1] ماغون القرطاجي ،نشر كتابا عرف باسم الفلاحة الأفريقية في ثمان وعشرين جزءا دون فيه كل الخبرات الفلاحية التي استخلصها من تجواله في الأرياف الأفريقية واحتكاكه بالفلاحين في تلك الأرياف ، لم يصلنا شيء من كتابه هذا الذي ترجم إلى اللغة اللاتينية والإغريقية سوى بعض الإشارات ، ينظر ، https،ultratunisia،//ultrasawt،com/

[2] خنيش عبد الفتاح، "التوسع الزراعي في أفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية"، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2، 2012، ص 39

الفصل الثالث: الفينيقيون في الفنون والثقافة وحضارة البحر المتوسط

المبحث الأول: الفنون والعمارة الفينيقية

المطلب الأول: تطور الفن الفينيقي عبر العصور

المطلب الثاني: الصناعات الفنية والحرفية

المطلب الثالث: العمارة الفينيقية وخصائصها

المبحث الثاني: الأدب والفكر الفينيقي

المطلب الأول: الأساطير والمعتقدات الدينية

المطلب الثاني: الطقوس والممارسات الدينية

المبحث الثالث: الكتابة واللغة عند الفينيقيين

المطلب الأول: نشأة وتطور الأبجدية الفينيقية

المطلب الثالث: خصائص اللغة الفينيقية

المطلب الرابع: التأثير الثقافي على الحضارات المجاورة

المبحث الأول: الفنون والعمارة الفينيقية

المطلب الأول: تطور الفن الفينيقي عبر العصور

المرحلة الأولى: عصر التأثر والاقتباس (الألف الثالث قبل الميلاد)

جاء الفن الفينيقي في الألف الثالث قبل الميلاد مقلدا لعدة فنون خارجية، كالقبرصية والمسينية والإيجية والمصرية والرافدية خلال هذه المرحلة المبكرة، اعتمد الفنانون الفينيقيون بشكل كبير على النماذج الفنية المستوردة من الحضارات المجاورة، حيث كانت التجارة البحرية النشطة تجلب معها تأثيرات فنية متنوعة تميزت هذه الفترة بالمحاولات الأولى لتطوير هوية فنية محلية، رغم الاعتماد الواضح على الأساليب الخارجية.[1]

كان التأثير المصري واضحا في الأعمال الفنية المبكرة، خاصة في النحت والرسم على الجدران، حيث تبنى الفنانون الفينيقيون أساليب التصوير الجانبي والرموز الهيروغليفية من ناحية أخرى، ظهر التأثير الرافدي في صناعة الأختام الأسطوانية والتماثيل الصغيرة، بينما انعكس التأثير الإيجي في تقنيات صناعة الفخار والزجاج الملون.[2]

المرحلة الثانية: التطور والتميز (الألف الثاني قبل الميلاد)

شهدت هذه المرحلة بداية التحرر التدريجي من التقليد المباشر حيث بدأ الفنانون الفينيقيون في تطوير أساليب خاصة بهم ازداد التفاعل مع الحضارات المجاورة من خلال التجارة، مما أدى إلى ظهور

---

[1] موسكاتي، سباتينو، الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكر، دمشق، دار علاء الدين، 1998، ص 45

[2] سليم، حسين أحمد، "الفينيقيون أجداد الفن التشكيلي اللبناني،" مجلة آثار العرب ،دمشق، المديرية العامة للآثار والمتاحف، 2010، ص 7

أسلوب فني مختلط يجمع بين عناصر متعددة الثقافات تطورت تقنيات صناعة المعادن بشكل ملحوظ خاصة في إنتاج المجوهرات والأدوات الطقسية المصنوعة من الذهب والفضة والبرونز.

برز خلال هذه الفترة فن الصباغة الأرجوانية، الذي أصبح من أشهر الإنجازات الفينيقية وأكثرها تميزا كما تطورت صناعة الزجاج الشفاف، حيث لم يبتكر الفينيقيون طريقة صناعة الزجاج، بل أخذوه عن المصريين، ولكنهم جعلوه شفافا ونوعوا من أصنافه هذا التطور التقني مكن الفنانين من إنتاج قطع فنية أكثر تعقيدا وجمالا. [1]

المرحلة الثالثة: النضج والأصالة (الألف الأول قبل الميلاد)

إلى أن أصبح في الألف الأول قبل الميلاد محررا من الاقتباس والتقليد، متخذا طابعا خاصا به تمثل هذه المرحلة ذروة الإبداع الفني الفينيقي، حيث تمكن الفنانون من تطوير لغة فنية مستقلة تعكس الهوية الثقافية الفينيقية تميز الفن الفينيقي بأسلوبه الفريد والمميز، حيث كان يدمج بين التأثيرات المصرية والآشورية واليونانية والفارسية.

خلال هذه الفترة، ازدهرت صناعة النقود المعدنية التي تمثل على وجهها سفينة فينيقية وسط أمواج البحر وتمثل على ظهرها الأسد ينقض على الثور، وأخرى تمثل صورة جانبية لرأس "تيكة" ربة ثروة المدينة هذه النقود لم تكن مجرد وسيلة تبادل تجاري، بل أعمال فنية تحمل رموزا دينية وثقافية عميقة. [2]

طور الفينيقيون أساليب فنية متميزة دمجت بين الرموز الدينية والتصاميم الزخرفية، مما جعل فنونهم ذات طابع فريد تميزت أعمالهم بعدة خصائص أساسية:

---

[1] الأسود، ناصر الدين، الفن في بلاد الشام القديمة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1995، ص 23-24

[2] هاردن، دونالد، الفينيقيون، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1963، ص 53

الدقة التقنية: استخدموا تقنيات دقيقة في صناعة الأختام الأسطوانية، التي زينت بمشاهد من الأساطير والطقوس الدينية برع الفنان الفينيقي في صنع الأختام المبسطة والأختام الأسطوانية التي كانت في بادئ الأمر بمثابة تميمة تحمي صاحبها وحاملها من الروح الشريرة وتجلب له الحظ السعيد.[1]

التنوع في المواد: أبدعوا في فن النحت على العاج والمعادن، مما أكسب أعمالهم شهرة واسعة في العالم القديم كانت هذه الأختام تصنع من أحجار الهيماتيت والستاتيت والصدف والخزف وغيره كما استخدموا العاج المستقدم من الهند عن طريق ما بين النهرين، أو من أفريقيا عن طريق مصر.[2]

ازدهرت الفنون والعمارة في الحضارة الفينيقية بفضل موقعها الجغرافي وثرواتها التجارية، مما ساعد على تبادل الثقافات والتأثيرات بين الشرق والغرب لم يقتصر تأثير الفن الفينيقي على المنطقة المحلية، بل انتشر عبر شبكة التجارة الواسعة إلى مختلف أنحاء البحر المتوسط.[3]

كان الشاعر اليوناني هوميروس قد أشاد بمهارة فناني صيدا ووصفهم بـ"رجال حذق ومهارة في الأعمال اليدوية الدقيقة" هذا الاعتراف من قبل الحضارة اليونانية يؤكد المكانة المرموقة التي وصل إليها الفن الفينيقي في العالم القديم.[4]

تجلى فن الإتقان والخلق والإبداع عند الفينيقيين في مجالات متعددة، من الصباغ الأرجواني الذي استخرج من الصدف واستخدم في صناعة الأقمشة المطرزة التي نالت شهرة عظيمة في العالم

---

[1] خليل، أبو شوقي، الحضارة الفينيقية في لبنان وسوريا وفلسطين، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1992، ص 67

[2] سليم، حسين أحمد، المرجع السابق، ص 6

[3] شيحا، إبراهيم، الفينيقيون تجار البحر الأبيض المتوسط، بيروت، دار الآداب، 1975، ص 89

[4] مارك، جلين، الفينيقيون، شعب البحر والتجارة، تر: سمير أديب، بيروت، دار الفكر المعاصر، 2001، ص 59

القديم، إلى الخزف الذي تفننوا في صناعته هذا التنوع في المجالات الفنية يعكس عمق الثقافة الفينيقية وقدرتها على الإبداع في مختلف الفنون.[1]

المطلب الثاني: الصناعات الفنية والحرفية

صناعة الصباغ الأرجواني

تجلى فن الإتقان والخلق والإبداع عند الفينيقيين في عدة مجالات، وكان أشهرها الصباغ الأرجواني الذي استخرج من الصدف واستخدم في صناعة الأقمشة المطرزة التي نالت شهرة عظيمة في العالم القديم تطلبت هذه الصناعة المعقدة مهارات خاصة في جمع قواقع الموريكس من أعماق البحر، حيث كان الصيادون يغوصون لجمع آلاف القواقع لإنتاج كمية قليلة من الصبغة الثمينة.

كانت عملية الاستخراج تتم عبر سحق القواقع وتركها تتخمر في أحواض خاصة لعدة أسابيع، مما ينتج عنه سائل ذو رائحة نفاذة يتحول لونه تدريجيا من الأصفر إلى الأحمر ثم إلى الأرجواني الداكن عند تعرضه لأشعة الشمس هذا اللون الأرجواني أصبح رمزا للملوكية والنبالة في العالم القديم، حتى أن كلمة "فينيقي" نفسها تعني "الأرجواني" في اللغة اليونانية.[2]

فن صناعة الخزف والفخار الفني

تفنن الفينيقيون في صناعة الخزف، فقد شملت إبداعاتهم الكؤوس التي جاءت بشكل تماثيل راقصات، وقوارير الطيب بشكل تماثيل صغيرة، والأباريق والزهريات التي زينت بالألوان والنقوش

[1] سليم، حسين أحمد، المرجع السابق، ص10

[2] عبد المالك سلاطنية، المرجع السابق ، ص71

الجميلة تميزت هذه القطع بدمجها بين الوظيفة العملية والجمال الفني، حيث كانت تستخدم في الطقوس الدينية والحياة اليومية على حد سواء.

استخدم الخزافون الفينيقيون تقنيات متطورة في الحرق والتزجيج، مما أنتج قطعا ذات ألوان زاهية ومتانة عالية كانت الزخارف تشمل مشاهد من الطبيعة مثل الأسماك والطيور، بالإضافة إلى رموز دينية مثل رمز الربة عشتار وشجرة الحياة هذه القطع الخزفية انتشرت عبر شبكة التجارة الفينيقية ووجدت في مواقع أثرية من إسبانيا إلى قبرص.[1]

فن الصياغة والمجوهرات

نبغ الفنانون الفينيقيون في ميادين الصياغة الذهبية والفضية والبرونزية والخزفية، ويدل على ذلك قرط ذهبي مكتشف في أوغاريت تزينه خيوط ذهبية دقيقة الصنع تطلبت صناعة هذه المجوهرات مهارات عالية في تقنيات مثل التحبيب (Granulation) حيث تلحم كرات صغيرة من الذهب على السطح لخلق تأثيرات بصرية مذهلة.

كانت الخواتم الفضية الجميلة التي نقش على فصها الفضي مشاهد مختلفة مثل الغزال والثور والكائنات الخرافية والزخارف النباتية تعتبر أعمالا فنية مصغرة استخدم الصاغة تقنيات النقش بالحفر والنقش بالبارز، مما أنتج تفاصيل دقيقة تحكي قصصا أسطورية أو تحمل رموزا دينية هذه الخواتم لم تكن مجرد حلي، بل أختاما شخصية تستخدم في المعاملات التجارية والوثائق الرسمية.[2]

[1] فيليب حتي، المرجع السابق، ص 163

[2] أشلاف فطومة، الصناعات الحرفية الفينيقية، المرجع السابق، ص 189

صناعة العاج والنحت الدقيق

برع الفينيقيون في نحت العاج المستورد من أفريقيا والهند، حيث أنتجوا لوحات مزخرفة استخدمت في تزيين الأثاث الملكي والمعابد كانت هذه اللوحات تطعم بالذهب والأحجار الكريمة، وتصور مشاهد من الأساطير الفينيقية مثل قصة أدونيس وعشتار تقنيات النحت على العاج تطلبت صبرا ودقة فائقة، حيث كان النحاتون يستخدمون أدوات دقيقة لإنتاج تفاصيل لا ترى بالعين المجردة.[1]

صناعة الزجاج والابتكارات التقنية

طور الفينيقيون تقنيات متقدمة في صناعة الزجاج، بما في ذلك إنتاج الزجاج الشفاف والملون استخدموا أفران خاصة تصل درجة حرارتها إلى 1500 درجة مئوية، مما مكنهم من صهر الرمل الكوارتزي وإنتاج زجاج عالي الجودة كانت منتجاتهم الزجاجية تشمل الخرز الملون المستخدم في المجوهرات، والأوعية الطقسية، والمرايا المصقولة (أنظر ملحق رقم 3).[2]

كان الشاعر اليوناني هوميروس قد أشاد بمهارة فناني صيدا ووصفهم بـ"رجال حذق ومهارة في الأعمال اليدوية الدقيقة" هذا الاعتراف من قبل أحد أعظم شعراء اليونان يؤكد المكانة الرفيعة التي وصلت إليها الصناعات الفينيقية في العالم القديم كما ذكر المؤرخ بليني الأكبر أن الفينيقيين كانوا "أساتذة في كل فن يتطلب دقة ومهارة".[3]

---

[1] أشلاف فطومة، نفسه، ص 153

[2] هناء عبد الخالق، " الزجاج الإسلامي في متاحف ومخازن الآثار في العراق مع دراسة أولية عن الزجاج القديم "، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976، ص 22

[3] فيليب حتي، المرجع السابق، ص 139

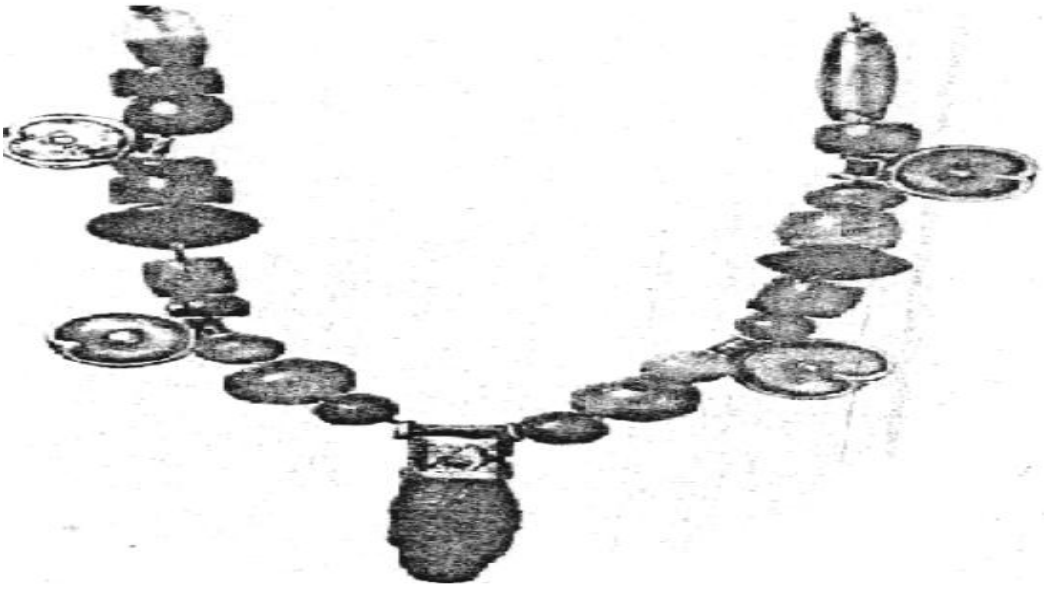

عقد مركب من قطع مصنوعة من المعدن والزجاج

(Donald , Harden , op , cit , p 103.)

التأثير على الحضارات

انتشرت التقنيات الفينيقية عبر شبكة التجارة الواسعة، حيث تعلمت الحضارات المجاورة من خبراتهم في الصناعات الفنية تأثر الإغريق بتقنيات الصياغة الفينيقية، بينما نقل الرومان طرق صناعة الزجاج الملون حتى اليوم، تعتبر بعض التقنيات الفينيقية، مثل صباغة الأقمشة بالأرجواني، مصدر إلهام للحرفيين المعاصرين في منطقة البحر المتوسط.[1]

[1] سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 54

المطلب الثالث: العمارة الفينيقية وخصائصها

تميزت العمارة الفينيقية بطابعها الفريد الذي جمع بين الوظيفة العملية والجمال الفني، حيث اشتملت على المعابد الكبيرة بواجهات ذات أعمدة مزدوجة وسلم قصير، وساحات مقدسة مغلقة تحتوي أضرحة ذات واجهات مفتوحة على شكل مكعب كما برزت براعتهم في المشاريع الهندسية الكبيرة كالسدود والموانئ التي تعكس فهمهم العميق للهندسة المائية والبحرية.[1]

استخدم المعماريون الفينيقيون مواد بناء متنوعة تتناسب مع البيئة المحلية والغرض من المبنى، حيث اشتملت الأسوار عالية التحصين على أبراج وبوابات منيعة بنيت من الطوب الطيني والحجر الجيري، شأنها في ذلك شأن الكثير من الأبنية السكنية المتواضعة هذا التنوع في استخدام المواد يعكس التكيف مع الظروف المناخية والجغرافية المختلفة.[2]

العمارة الدينية:

أقام الفينيقيون المعابد تمجيدا لآلهتهم، وكان أشهرها معبدي أدونيس وعشتار في مغارة أفقا "منبع نهر إبراهيم في جبيل" كان الهيكل يتألف من ثلاثة أقسام رئيسية: القسم الداخلي موضع الإله وعبادته (قدس الأقداس)، والقسم الخارجي وهو المعبر إلى الداخل (البهو المقدس)، والساحة العامة حيث يتجمع المؤمنون، وكانت مساكن الكهنة والموظفين إلى جانبها.

تميزت المعابد الفينيقية بتصميمها الهرمي المتدرج، حيث كانت تبنى على مرتفعات طبيعية أو صناعية لتكون مرئية من مسافات بعيدة استخدم المعماريون تقنيات متطورة في البناء، مثل نظام

[1] أشلاف فطومة، الصناعات الحرفية الفينيقية، المرجع السابق، ص 59

[2] جورج كونتينو، المرجع السابق، ص 345

الأعمدة المزدوجة التي تدعم السقف وتخلق مساحات داخلية واسعة كما زينت الواجهات بنقوش بارزة تصور مشاهد دينية وأسطورية.[1]

الهندسة المدنية والعسكرية

برع الفينيقيون في تصميم الأسوار الدفاعية التي تحمي مدنهم من الغزوات، حيث كانت هذه الأسوار تتكون من طبقات متعددة من الحجر الجيري المحلي مع استخدام تقنية "الحجارة الضخمة" (Megalithic) في الأجزاء الأساسية تضمنت هذه التحصينات أبراج مراقبة استراتيجية وبوابات محصنة مزودة بأنظمة إغلاق معقدة.

في مجال الهندسة المائية، أنشأ الفينيقيون شبكات معقدة من القنوات والخزانات لتوفير المياه العذبة للمدن الساحلية كما طوروا تقنيات متقدمة في بناء الموانئ، بما في ذلك إنشاء أحواض اصطناعية محمية من العواصف البحرية، ومنارات لإرشاد السفن، ومخازن ضخمة للبضائع[2].

مواد البناء

تشمل الخصائص المميزة للهندسة المعمارية في الحضارة الفينيقية استخدام الحجر الجيري والرخام المحلي، بالإضافة إلى الأخشاب المستوردة مثل خشب الأرز اللبناني الشهير استخدم البناؤون تقنيات متطورة في قطع الحجارة وتشكيلها، مما مكنهم من إنتاج كتل حجرية متجانسة تتناسب بدقة مع بعضها البعض.

[1] جورج كونتينو، المرجع السابق، ص 346-347

[2] آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص 65

كما اشتهرت العمارة الفينيقية ببناء المعابد المتقنة ودمج المنحوتات المعقدة والعناصر الزخرفية في التصميم المعماري استخدموا تقنيات النحت البارز والغائر لتزيين الواجهات والأعمدة، مما أضفى طابعا فنيا مميزا على مبانيهم.[1]

التأثيرات الحضارية والابتكارات المعمارية

اشتهرت العمارة الفينيقية بعظمتها واهتمامها بالتفاصيل، حيث غالبا ما تتميز المباني بالأعمدة والأقواس والعناصر الكلاسيكية الأخرى التي أثرت لاحقا على العمارة اليونانية والرومانية طور الفينيقيون نظام الأعمدة الذي يجمع بين القوة الإنشائية والجمال البصري، والذي انتشر عبر مستعمراتهم في البحر المتوسط.[2]

العمارة السكنية والتجارية

تميزت البيوت الفينيقية بتصميمها العملي الذي يتناسب مع النشاط التجاري، حيث كانت تتكون من طابق أرضي مخصص للتجارة والحرف، وطوابق علوية للسكن استخدمت الأفنية الداخلية لتوفير الإضاءة والتهوية الطبيعية، كما زينت بنوافير وحدائق صغيرة.

في المناطق التجارية، أنشأ الفينيقيون أسواقا مغطاة (البازارات) تحمي التجار والبضائع من العوامل الجوية هذه الأسواق كانت تتميز بأقواس حجرية متقنة وأنظمة تصريف متطورة، مما جعلها نموذجا يحتذى به في العمارة التجارية القديمة.[3]

---

[1] أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 245

[2] كارل هاينز برنهرت، المرجع السابق، ص 142

[3] كارل هاينز برنهرت، المرجع السابق، ص144

المبحث الثاني: الأدب والفكر الفينيقي

المطلب الأول: الأساطير والمعتقدات الدينية

تعتبر الأساطير الفينيقية من أهم مكونات التراث الثقافي والأدبي في الحضارة الفينيقية، حيث شكلت نسيجا معقدا من المعتقدات الدينية والطقوس الموسمية التي تجسد علاقة الإنسان الفينيقي بالطبيعة وقوى الكون وتبرز أسطورة أدونيس كواحدة من أهم هذه الأساطير، التي لا تقتصر أهميتها على السياق الفينيقي المحلي، بل امتدت لتؤثر على الثقافات المتوسطية والأدب العالمي عبر القرون تظهر هذه الأسطورة التفاعل المعقد بين الحياة والموت، والفصول الطبيعية والدورات الزراعية، والحب والفقدان، مما يجعلها مرآة عاكسة للفكر الفينيقي العميق حول معنى الوجود والتجدد.[1]

الطبيعة متعددة الآلهة للديانة الفينيقية

كانت الديانة الفينيقية ديانة تعدد آلهة، حيث عبد الفينيقيون آلهة متعددة تجسد قوى الطبيعة المختلفة شارك الفينيقيون في الممارسات الدينية المشتركة مع الشعوب الكنعانية الأخرى، وقد تبنوا بعض الآلهة من جيرانهم مثل أدونيس من اليونانيين كان لكل مدينةدولة فينيقية آلهتها الرئيسية، حيث عبدت صيدا الإله إيشمون بينما قدمت بيبلوس التقديس لبعلة جبال تضمنت الآلهة الرئيسية في البانثيون الفينيقي بعل إله العواصف والخصوبة، وعشتار آلهة الحب والحرب، وملقرت إله صور المرتبط بهرقل في الأساطير اليونانية.[2]

---

[1] فراس السواح، مدخل الى نصوص الشرق القديم، دار علاء الدين، دمشق، 1996م، ص 234

[2] ميرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، 1987م، ج1، ص 456

تميزت المعتقدات الفينيقية بتركيزها على القوى الطبيعية، حيث مثلت آلهتهم عناصر مثل النار والمطر والدورات الطبيعية للفصول هذا التوجه نحو تأليه القوى الطبيعية يعكس العلاقة الوثيقة بين الفينيقيين وبيئتهم الجغرافية، خاصة ارتباطهم بالبحر والتجارة والزراعة كما تأثرت معتقداتهم بالحضارات المجاورة، مما أدى إلى تطور نظام ديني متنوع ومرن يمكنه استيعاب تأثيرات ثقافية متعددة عبر شبكتهم التجارية الواسعة.[1]

أسطورة أدونيس: الحب والموت والتجدد

تحتل أسطورة أدونيس مكانة مركزية في الأدب والفكر الفينيقي، حيث تجسد هذه الأسطورة الصراع الأبدي بين قوى الحياة والموت وفقا للأساطير اليونانية والفينيقية، كان أدونيس شابا وسيما أسره جمال إلهة الحب أفروديت ولد أدونيس من شجرة تحولت إليها والدته، وقد أخفته أفروديت في صندوق عندما كان طفلا بسبب جماله الاستثناري عندما أخبرت أفروديت بسرها لبيرسيفون آلهة العالم السفلي، فتحت الأخيرة الصندوق وانبهرت بجمال أدونيس فاختطفته ورفضت إعادته.[2]

تدخل زيوس كبير الآلهة وقضى بأن يقضي أدونيس نصف العام على الأرض مع أفروديت (رمزا لعودة الربيع السنوية) والنصف الآخر في العالم السفلي مع بيرسيفون (رمزا لعودة الخريف السنوية) هذا التقسيم الزمني يعكس الدورة الطبيعية للفصول والزراعة، مما يجعل أدونيس رمزا للخصوبة والتجدد الطبيعي النهاية المأساوية لأدونيس جاءت عندما قتل بواسطة خنزير بري جرحه برمحه أثناء الصيد

[1] ادزارد، م رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير، تر: حنا عبود، دار المأمون، بغداد، 1985م، ص 123

[2] فراس السواح، المرجع السابق، ص 235

هذا الموت العنيف يمثل انتهاء دورة الحياة والخصوبة، ويرمز إلى قسوة الطبيعة وقدرتها على الدمار إلى جانب قدرتها على الخلق[1].

الرمزية النباتية في أسطورة أدونيس

ترتبط أسطورة أدونيس ارتباطا وثيقا بالرمزية النباتية التي تعكس دورات الطبيعة والحياة وفقا للأساطير، نبتت زهور شقائق النعمان من الأرض حيث سقط دم أدونيس، بينما نبتت الورود من دموع أفروديت التي ذرفتها حزنا على حبيبها هذه الرمزية النباتية تضفي بعدا عميقا على الأسطورة، حيث تصبح الزهور شاهدا دائما على قصة الحب والفقدان زهور شقائق النعمان الحمراء تحديدا ترمز إلى الموت أو الحب المهجور في كل من الأسطورة اليونانية والتقليد المسيحي.[2]

تسمى الحدائق التي تحث فيها النباتات على الإزهار بسرعة (وبالتالي الموت بسرعة) "حدائق أدونيس"، رمزا لمصيره المأساوي هذا المفهوم يعكس فهما عميقا لطبيعة الحياة المؤقتة والجمال العابر، وهو موضوع محوري في الفلسفة الفينيقية حول الوجود اسم زهرة شقائق النعمان نفسه مشتق من اليونانية ويعني "زهرة الريح"، مما يعكس طبيعتها الهشة وقابليتها للتأثر بالعوامل الخارجية.[3]

[1] جان بيير فيرنان، الكون والآلهة والناس، تر: هنريت عبودي، دار الفارابي، بيروت، 2006م، ص 89

[2] خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 129

[3] وديع بشور، المرجع السابق، ص 93

المهرجانات الموسمية والطقوس الدينية

احتفل الفينيقيون بمهرجان أدونيا السنوي لإحياء ذكرى موت أدونيس، وهو مهرجان كان يحتفل به بشكل رئيسي من قبل النساء كان المهرجان السنوي الفينيقي لأدونيا يحيي ذكرى أدونيس كإله للخصوبة والوفرة، واسمه مشتق من الكلمة السامية "أدوناي" التي تعني "سيدي، مولاي" في أثينا، كان مهرجان أدونيا ينظم ويحتفل به من قبل النساء سنويا، وكان واحدا من عدة مهرجانات أثينية تحتفل بها النساء فقط وتتناول موضوعات جنسية أو تناسلية. [1]

خلال المهرجان، كانت النساء الأثينيات يصعدن إلى أسطح منازلهن حيث يرقصن ويغنين ويحزن طقوسيا على موت أدونيس كن يزرعن "حدائق أدونيس" بذور الخس والشمر المزروعة في أواني فخارية التي تنبت بسرعة قبل أن تذبل وتموت هذه الطقوس ترمز إلى الطبيعة العابرة للحياة والجمال، مما يعكس القلق الفينيقي العميق حول الموت والتجدد بعد الاحتفالات على الأسطح، كانت النساء ينزلن إلى الشوارع حاملات حدائق أدونيس هذه مع تماثيل صغيرة له، ثم يقمن بموكب جنائزي وهمي قبل دفن التماثيل وبقايا الحدائق طقوسيا في البحر أو في الينابيع.[2]

في المعبد الفينيقي العظيم لعشتار في بيبلوس، كان موت أدونيس يحزن عليه سنويا على أنغام المزمار الحادة، مع البكاء والعويل وضرب الصدور في اليوم التالي، كان يعتقد أنه يعود إلى الحياة ويصعد إلى السماء أمام عابديه المؤمنون المحزونون الذين تركوا على الأرض كانوا يحلقون رؤوسهم كما فعل المصريون عند موت الثور المقدس أبيس النساء اللواتي لم يستطعن التضحية بخصلات شعرهن الجميلة كان عليهن أن يعطين أنفسهن للغرباء في يوم معين من المهرجان ويهدين لعشتار أجر عارهن

[1] خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، المرجع السابق، ص 135

[2] محمد حرب فرزات، الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا، دار الفكر، دمشق، 1986م، ص 145

يبدو أن هذا المهرجان الفينيقي كان ربيعيا، حيث كان تاريخه يحدد بواسطة تلون نهر أدونيس، وقد لاحظ المسافرون المعاصرون أن هذا يحدث في الربيع في ذلك الموسم، التراب الأحمر المغسول من الجبال بالمطر يلون مياه النهر وحتى البحر كان يعتقد أن اللون الأحمر الدموي والبقعة القرمزية هي دم أدونيس هذه الظاهرة الطبيعية أضفت طابعا مقدسا على النهر وجعلته محورا للطقوس الدينية الفينيقية.[1]

نهر إبراهيم:

يحتل نهر إبراهيم (المعروف أيضا باسم نهر أدونيس) مكانة خاصة في الأسطورة الفينيقية، حيث يعتبر الموقع الذي وقعت فيه الأحداث المأساوية لموت أدونيس النهر[2]، الذي ينبع من كهف أفقا على ارتفاع 1200 متر في جبل لبنان ويصب في البحر المتوسط على بعد كيلومترات قليلة جنوب بيبلوس، أصبح رمزا مقدسا في الثقافة الفينيقية وفقا للأسطورة، اللون المحمر لنهر إبراهيم في الربيع ينتج عن دم أدونيس، إله الحب والجمال، الذي قتل في هذا المكان بواسطة خنزير بري أرسله آريس إله الحرب.[3]

العلماء المعاصرون يرجعون هذا اللون الأحمر إلى تآكل الصخور الحمراء من كهف أفقا التي تجرفها المياه هذا التفسير العلمي لا ينقص من أهمية النهر الثقافية والدينية، بل يظهر كيف استطاع الفينيقيون تحويل الظواهر الطبيعية إلى رموز دينية ذات معنى عميق الوادي والمواقع الأثرية مدرجة في

[1] محمد حرب فرزات، المرجع السابق، ص146

[2] نهر فينيقي بحري في جنوب من بيبلوس تعزز مياهه في الربيع فتجرف معها تربة حديدية حمراء تتسبب في تغير لون مياهه: هنري عبودي ينظر: هنري، عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، لبنان، 1991، ص 57

[3] نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم (السياسي، الاجتماعي، الثقافي)، دار الفكر، دمشق، 1980، ص14

القائمة الإرشادية لمواقع التراث العالمي لليونسكو منذ عام 1996، مما يعكس أهميتها التاريخية والثقافية المستمرة.[1]

المنطقة حول نهر إبراهيم غنية بالمواقع التاريخية الفينيقية التي يمكن اكتشافها الوادي يوفر مناظر طبيعية متنوعة تسحر السكان المحليين والزوار، خاصة محبي المشي في الطبيعة من المنظر المذهل من أعلى الوادي إلى نعومة النهر في الأسفل، المشهد الخلاب مختلف تماما المكان مناسب للمشي لمسافات طويلة، من إبري أو شوين، وصولا إلى وادي جنة هذه الخصائص الجغرافية والطبيعية جعلت من المنطقة موقعا مثاليا لتطوير المعتقدات الدينية والطقوس المرتبطة بأسطورة أدونيس.[2]

يسمى النهر أيضا بنهر إبراهيم نسبة إلى إبراهيم القيرواني، تلميذ القديس مارون، المعروف بشكل خاص لتحويله المنطقة إلى المسيحية هذا يظهر كيف أن الموقع المقدس استمر في لعب دور ديني مهم عبر تغيرات الحضارات والأديان، مما يعكس القوة الدائمة للمكان في الخيال الديني والثقافي النهر ليس مقدسا فقط بسبب أسطورة أدونيس، بل أيضا بسبب دوره في تاريخ المسيحية المبكرة في المنطقة.[3]

إله الموت موت ودوره في الأساطير الفينيقية

في النظام الديني الفينيقي، لعب إله الموت موت دورا محوريا في فهم دورات الحياة والموت موت (بالفينيقية: 𐤌𐤅𐤕، بالعبرية: מוות، بالأوغاريتية: 𐎍𐎅𐎗) كان الإله الكنعاني للموت والعالم السفلي،

[1] حبيب السيوقي، سوريا ولبنان وفلسطين في القرن الثامن عشر كما وصفها احد المشاهير الغربيين، ج2، دار المخلص، لبنان، 1949، ص20

[2] حبيب السيوقي، المرجع السابق، ص 21

[3] زكي النقاش وعمر فروخ، تاريخ سوريا ولبنان المصور، ج2، د ط، مطبعة الكشاف، بيروت، دس، ص13-14

وكان معروفا أيضا لشعوب أوغاريت وفينيقيا الاسم "موت" يترجم مباشرة إلى "الموت" وكان معترفا به على نطاق واسع في الديانة الكنعانية، خاصة بين شعوب أوغاريت وفينيقيا فهمنا لأهمية موت وروايته يأتي بشكل أساسي من النصوص الأوغاريتية، مكملة بشظايا من عمل فيلون البيبلوسي

الأسطورة الأبرز التي تشمل موت هي صراعه مع بعل، رمزا للصراع الدوري بين الحياة والموت في هذه الأسطورة، يقتل بعل ظاهريا من قبل موت، مما يغرق العالم في الفوضى، يرمز إليها بتوقف المطر والخصوبة عنات، أخت بعل الشرسة، تنتقم من موت وتهزمه في مواجهة عنيفة، تقطعه وتطحن بقاياه وتنثرها عبر الأرض يحلم إيل ببقاء بعل ويوعز لشابش بإحيائه، فيستعيد العالم حيويته مع عودة بعل للحياة بعد سبع سنوات، يواجه موت بعل مرة أخرى مطالبا بالانتقام، لكن الصراع ينتهي في النهاية عندما تتدخل شابش محذرة موت من غضب إيل.[1]

يحمل صراع موت وبعل رمزية كونية عميقة تعكس فهم الفينيقيين للدورات الطبيعية والكونية الصراع بين بعل وموت يعكس الدورات الموسمية للخصوبة والجفاف، حيث يرمز موت بعل وإحياؤه للأمطار التي تدعم الحياة، بينما يشير وجود موت لفترات القحط التفاعل بين بعل وموت يلخص التوازن بين الحياة والموت، وهو موضوع منتشر في العديد من الأديان القديمة جوع موت الذي لا يشبع يقدم كحكاية تحذيرية حول الطمع غير المنضبط والدمار، بينما قيامة بعل تقدم الأمل والتجدد

في التقليد الفينيقي، وفقا لرواية سانخونياثون، موت موصوف كواحد من أبناء إيل وريا بعد موت موت، يؤلهه إيل، مانحا إياه مكانة إلهية مماثلة لثاناتوس (الكلمة اليونانية لـ"الموت") [2]أو بلوتو

[1] حسان حلاق، ملامح من تاريخ الحضارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والديني، الدار الجامعية، بيروت، 1991، ص71

[2] محمد علي أبو شحمة، المعتقدات الدينية الفينيقية في المدن الثلاث الليبية، مجلة البحوث الأكاديمية، كلية الأداب، جامعة مصراته، ص501.

(المرتبط بالعالم السفلي) في أسطورة الخلق المبكرة المنسوبة لسانخونياثون، ينبثق موت من مادة بدائية غالبا ما تفسر كطين أو مادة متحللة هذا التفسير يختلف عن الصورة العنيفة في الأساطير الأوغاريتية، مقدما موت كجزء من القوى المولدة للكون.[1]

التأثير على الأدب العالمي والثقافة المعاصرة

امتد تأثير أسطورة أدونيس الفينيقية إلى ما هو أبعد من حدود البحر المتوسط القديم لتصل إلى الأدب العالمي عبر العصور في العصر الحديث، استلهم الشاعر الإنجليزي بيرسي بيش شيلي من أسطورة أدونيس في كتابة قصيدته الشهيرة "أدونايس: مرثية على موت جون كيتس" شيلي يجسد كيتس كـ"أدونايس"، إله يموت ويبعث كزهرة، وبتجسيد كيتس كأدونيس، أراد شيلي أن يكون خالدا هذا الاستخدام الحديث للأسطورة الفينيقية يظهر القوة الدائمة للرموز والموضوعات التي طورها الفينيقيون منذ آلاف السنين.[2]

قصيدة شيلي تتألف من 495 بيتا في 55 مقطعا من البحر السبنسري، وقد نظمت في ربيع 1821 مباشرة بعد 11 أبريل، عندما سمع شيلي بموت كيتس العنوان مشكل على غرار الأعمال القديمة، مثل "أخيليس" (قصيدة عن أخيل) للشاعر الروماني ستاتيوس من القرن الأول الميلادي، ويشير إلى الموت المبكر لأدونيس اليوناني، إله الخصوبة هذا الربط بين الأدب الحديث والأساطير الفينيقية القديمة يبرز الاستمرارية الثقافية والتأثير الدائم لهذه الحكايات على الخيال الإنساني.[3]

---

[1] محمد علي أبو شحمة، المرجع السابق، ص 502-503

[2] حسان حلاق، نفسه، ص 75

[3] ميرسيا إلياد، المرجع السابق، ص 437

الانتشار في الثقافات المتوسطية

انتشرت عبادة أدونيس في اليونان بحلول عام 600 قبل الميلاد وكانت معروفة لسافو ودائرتها لأدونيس أصلان: قبرص وبيبلوس في قبرص، كان مرتبطا بالملك ثيياس أو كينيراس ملك بافوس أو بيجماليون؛ وكانت والدته ميرها ابنة الملك في بيبلوس، كان فوينيكس والد الفينيقيين بافوس تراه مرتبطا بالآلهة أفروديت، والتي أقيمت معها رابطة بالفعل عبادة أدونيس، التي كانت شعبية خاصة بين النساء، كانت تحتفل بها على الأسطح المسطحة بزراعة النباتات وتقديم البخور.

كانت عبادة أدونيس توصف أيضا بأنها تتوافق مع عبادة الإله الفينيقي بعل البخور وعويل النساء هي ممارسات مطابقة لتلك الموجودة في عبادة بعل في اليونان، تلعب الآلهة بيرسيفون الكثير من دوره، وفي فينيقيا، حلت عبادته محل عبادة أليين، إله النباتات وابن بعل، الذي قتل بواسطة موت هذا التطور في الأساطير يظهر كيف تطورت المعتقدات الدينية وتكيفت مع التغيرات الثقافية والسياسية، مع احتفاظها بجوهرها الرمزي والروحي.[1]

المطلب الثاني: الطقوس والممارسات الدينية

تضمنت طقوس التضحية مراسم معقدة تبدأ بتطهير الضحية وتقديسها، ثم ذبحها وفق طقوس محددة على مذابح حجرية مخصصة لهذا الغرض كان الكهنة يرتدون أزياء خاصة ويتلون تعاويذ معينة أثناء العملية، بينما يقوم المؤمنون بالترانيم والصلوات الجماعية هذه الممارسات عكست الاعتقاد الفينيقي بأن الآلهة تحتاج إلى "تغذية" روحية من خلال الدخان المتصاعد من القرابين المحروقة.[2]

[1] محمد علي أبو شحمة، المرجع السابق، ص 319

[2] حسان حلاق، المرجع السابق، ص 75

كانت الصلوات والدعوات والرقص والترانيم تقام على يد الكهنة، الذين شكلوا طبقة دينية متخصصة تتولى إدارة الشؤون الروحية للمجتمع تدرب هؤلاء الكهنة منذ الصغر على أداء الطقوس المعقدة وحفظ النصوص المقدسة والأناشيد الدينية كانوا يقسمون إلى رتب مختلفة، من الكهنة المبتدئين الذين يساعدون في الطقوس البسيطة، إلى الكهنة الأعلى الذين يترأسون المراسم الكبرى ويتواصلون مباشرة مع الآلهة.[1]

تضمنت الطقوس الجماعية مواكب دينية تجوب شوارع المدن، حيث كان المؤمنون يحملون تماثيل الآلهة ويرددون الأناشيد المقدسة هذه المواكب كانت تقام في المناسبات الدينية الكبرى مثل أعياد الحصاد أو بداية الفصول، وكانت تهدف إلى تعزيز التماسك الاجتماعي وإظهار الولاء للآلهة المحلية.[2]

الموسيقى والفنون في العبادة

اشتهر الفينيقيون بالغناء والموسيقى في طقوسهم الدينية المختلفة، كما اشتهروا بصناعة الأدوات الموسيقية المختلفة كالعود والمزمار والدف والطبل كانت الموسيقى تعتبر وسيلة للتواصل مع العالم الروحي، حيث اعتقد الفينيقيون أن الألحان والإيقاعات المقدسة تفتح قنوات اتصال مع الآلهة وتجذب بركاتها.

طور الموسيقيون الفينيقيون أساليب عزف متطورة تتناسب مع كل نوع من الطقوس، فالأناشيد الجنائزية كانت تؤدى بألحان حزينة وإيقاعات بطيئة، بينما أناشيد الاحتفال بالخصوبة كانت مليئة

[1] حسان حلاق، المرجع السابق، ص 76

[2] سهيل عثمان، عبد الرزاق الأصفر، معجم الأساطير اليونانية والرومانية، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1996م، ص 234.

بالحيوية والفرح كما استخدموا تقنيات صوتية خاصة مثل الترديد الجماعي والتناوب بين المنشدين لخلق تأثيرات صوتية مؤثرة.[1]

التدوين الموسيقي والحفظ الثقافي

إن تدوين الموسيقى على رقيم طيني مسماري مكتشف في أوغاريت يدل على أهمية الغناء والموسيقى لدى هذا الشعب هذا الاكتشاف الأثري يعتبر من أقدم النماذج المعروفة للتدوين الموسيقي في التاريخ، ويكشف عن مستوى متقدم من التنظيم والحفظ للتراث الموسيقي الديني

تضمن الرقيم المكتشف نوتات موسيقية لأناشيد مقدسة مخصصة لعبادة الإلهة نيكال، إلهة البساتين والثمار هذا التدوين لم يحفظ الألحان فحسب، بل وثق أيضا تعليمات أداء دقيقة تشمل طريقة العزف والغناء والتوقيت المناسب لكل جزء من الطقس.[2]

الطقوس الموسمية والاحتفالات الدورية

ارتبطت العديد من الطقوس الفينيقية بالدورات الطبيعية والمواسم الزراعية، حيث كانت تقام احتفالات خاصة لضمان خصوبة الأرض ونجاح المحاصيل تضمنت هذه الاحتفالات طقوس الزواج المقدس بين الآلهة، والتي كان يعاد تمثيلها من قبل الكهنة والكاهنات في مراسم رمزية معقدة

كما أقام الفينيقيون طقوسا خاصة للحماية من الأخطار البحرية، نظرا لاعتمادهم الكبير على التجارة البحرية هذه الطقوس كانت تشمل تقديم قرابين خاصة لإله البحر يم، وإجراء مراسم تطهير للسفن قبل الإبحار، وترديد تعاويذ حماية للبحارة.[3]

---

[1] فيليب حتي، المرجع السابق، ص 173

[2] أحمد فخري، المرجع السابق، ص 231

[3] خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، المرجع السابق، ص 133

المبحث الثالث: الكتابة واللغة عند الفينيقيين

المطلب الأول: نشأة وتطور الأبجدية الفينيقية

تعد الأبجدية الفينيقية إحدى أهم الإنجازات الحضارية في تاريخ البشرية، حيث مثلت نقطة تحول جوهرية في تطور أنظمة الكتابة من الأنظمة الصورية المعقدة إلى الأنظمة الأبجدية البسيطة والفعالة تتألف هذه الأبجدية من اثنين وعشرين حرفا تتبع ترتيبا ثابتا وتكتب من اليمين إلى اليسار، وقد استخدمت في المناطق الساحلية لشرقي البحر المتوسط من القرن الحادي عشر قبل الميلاد حتى القرن الخامس قبل الميلاد إن دراسة نشأة وتطور هذه الأبجدية تكشف عن تفاعل حضاري معقد بين الثقافات المصرية والبلاد الرافدينية والكنعانية[1]، مما أدى إلى ولادة نظام كتابي ثوري أثر على جميع الأنظمة الأبجدية اللاحقة في العالم تهدف هذه الدراسة إلى تتبع المراحل التاريخية لتطور الأبجدية الفينيقية منذ جذورها الأولى في النصوص الكنعانية الأولية وحتى انتشارها عبر حوض البحر المتوسط، مع تحليل خصائصها اللغوية والثقافية وتأثيرها على الحضارات المعاصرة واللاحقة.

الجذور التاريخية والأصول الأولى للأبجدية الفينيقية

تمتد جذور الأبجدية الفينيقية إلى فترات عميقة في التاريخ القديم، حيث تطورت من الأبجدية الكنعانية الأولية (ProtoCanaanite) التي تعتبر الحلقة الوسطى بين الأنظمة الكتابية المصرية القديمة والأبجدية الفينيقية الناضجة يطلق مصطلح "الكنعانية الأولية" على نظامين رئيسيين: الأول هو النصوص السينائية الأولية عندما وجدت في بلاد كنعان ويعود تاريخها إلى حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد، والثاني هو سلف افتراضي للخط الفينيقي قبل تاريخ قطع معين، عادة 1050 قبل

[1] محمد قدوح، الكتابة، نشأتها وتطورها عبر التاريخ، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2001م، ص 29

الميلاد تظهر الأدلة الأثرية أن حوالي عشرين إلى خمسة وعشرين نقشا كنعانيا أوليا معروفة، مما يشير إلى أن هذا النظام الكتابي كان محدود الانتشار نسبيا لكنه مثل خطوة حاسمة في تطور الكتابة الأبجدية.[1]

إن التطور التدريجي من الكنعانية الأولية إلى الأبجدية الفينيقية يظهر عملية تطور معقدة امتدت عبر قرون عديدة بحسب الدراسات الأثرية لفينكلشتين وساس (2013)، انتشر وتطور الخط الكنعاني الأولي على مراحل زمنية محددة: من القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد، كان انتشار الأبجدية مقتصرا على منطقة الشيفيلاه، ثم من منتصف القرن العاشر إلى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد، انتقلت الأبجدية من الطور الكنعاني الأولي إلى ما بعد الكنعاني الأولي هذا التطور التدريجي يظهر أن الأبجدية الفينيقية لم تظهر فجأة، بل كانت نتيجة عملية تطور طويلة ومعقدة تأثرت بعوامل جغرافية وثقافية واقتصادية متنوعة.[2]

تشير الأدلة الأثرية إلى أن أول النقوش الفينيقية الموثقة لا تعود إلى ما قبل 1000 قبل الميلاد، على الرغم من أن التقاليد الكتابية التي أدت إلى ظهورها تعود إلى فترات أقدم بكثير هذا التأخر الزمني بين ظهور الكنعانية الأولية والفينيقية الناضجة يظهر أن الفترة الانتقالية كانت حاسمة في تشكيل خصائص الأبجدية الفينيقية النهائية كما تشير الدراسات إلى أن الفينيقية والعبرية واللهجات

[1] محمد قدوح، المرجع السابق، ص 65

[2] Finkelstein, Israel, and Benjamin Sass. "The West Semitic Alphabetic Inscriptions, Late Bronze II to Iron IIA: Archeological Context, Distribution and Chronology." HBAI 2 (2013): 149

الكنعانية الأخرى كانت غير قابلة للتمييز إلى حد كبير قبل القرن الحادي عشر قبل الميلاد، مما يؤكد على الجذور المشتركة لهذه التقاليد الكتابية.[1]

التأثيرات المصرية و الرافدية في تطور الكتابة الفينيقية

لعبت الحضارة المصرية دورا محوريا في تشكيل الأبجدية الفينيقية، حيث تظهر الأدلة الأثرية أن أول علامات الأبجدية الفينيقية الموجودة في مدينة جبيل مستمدة بوضوح من الهيروغليفية المصرية وليس من الكتابة المسمارية هذا التأثير المصري المباشر يفسر من خلال الصلات السياسية والتجارية القوية بين مصر والمناطق الساحلية الكنعانية، حيث خضعت فينيقيا لفترات طويلة للسيطرة المصرية، وهو ما اعترف به الملك ريبعدا من جبيل في إحدى رسائله إلى الفرعون إن الحروف الفينيقية الاثنين والعشرين هي في الأساس تبسيطات للرموز الهيروغليفية المصرية، والتي اتخذت شكلا موحدا في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد.[2]

تشير البحوث الحديثة إلى أن الأبجدية الكنعانية الساكنة تطورت كتكيف محلي للممارسة الكتابية المصرية لتسجيل الكلمات غير المصرية هذا التكيف المحلي لا بد أن حدث تحت الحكم الرعمسي، عندما أقام الكتبة المصريون أو المدربون على الطريقة المصرية في المواقع الكنعانية من المعقول الاستنتاج أن الرموز الساكنة السامية الغربية لم تكن مخصصة لتعكس الصوتيات السامية بشكل كاف منذ بداية وجودها، بل كان استخدامها مشروطا في الأصل بالممارسة الكتابية المصرية لتقديم الكلمات السامية التي كانت سائدة خلال المملكة الحديثة.[3]

---

[1] فاضل، مروان أبي. "تاريخ لبنان القديم ." بيروت: الجامعة اللبنانية، 2010.ص 25

[2] فراس السواح، المرجع السابق، ص 236

[3] محمد قدوح، المرجع السابق، ص 24

بالرغم من التأثير المصري الغالب، لا يمكن إغفال التأثيرات الرافدينية على التطور المبكر للكتابة الفينيقية قبل حوالي 1000 قبل الميلاد، كتبت الفينيقية باستخدام الرموز المسمارية التي كانت شائعة في جميع أنحاء بلاد الرافدين هذا الاستخدام المبكر للكتابة المسمارية يظهر أن الفينيقيين كانوا على دراية بأنظمة الكتابة المتعددة وتفاعلوا معها قبل تطوير نظامهم الأبجدي المميز كما أن الفينيقيين، كما تشير المصادر، تأثروا بالأنظمة الكتابية السومرية والمصرية من خلال تجارتهم مع الحضارات المجاورة، حيث استعاروا نظاما أبجديا أساسيا من حضارة مجاورة أخرى، وهي الكنعانية الأولية.[1]

الخصائص الأساسية للنظام الكتابي الفينيقي

تمتاز الأبجدية الفينيقية بمجموعة من الخصائص المميزة التي جعلتها نظاما كتابيا فعالا وقابلا للانتشار تتكون الأبجدية من اثنين وعشرين حرفا ساكنا، وهي بذلك تصنف كأبجدية (abjad) تستخدم لكتابة لغة سامية، حيث تترك أصوات حروف العلة ضمنية هذا النظام الساكني يتبع التقليد السامي العام، حيث الجذور الساكنة للكلمات تحمل المعاني الأساسية، مما يجعل حذف حروف العلة أمرا مقبولا دون فقدان كبير في المعنى في المراحل المتأخرة، استخدمت بعض الأشكال أحيانا ما يسمى بـ "أمهات القراءة" (matres lectionis) للدلالة على بعض حروف العلة.[2]

إن اتجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار يعد من الخصائص الثابتة للأبجدية الفينيقية، والذي يتماشى مع التقاليد الكتابية السامية عموما تشير الدراسات إلى أن الكتابة السامية الغربية المبكرة كان يمكن كتابتها في أي اتجاه: من اليمين إلى اليسار، من اليسار إلى اليمين، عموديا، وبالتناوب الأفقي والعمودي، لكن من حوالي منتصف القرن الحادي عشر، استقر اتجاه الكتابة وأصبحت

[1] كارل هاينز برنهرت، المرجع السابق، ص 109

[2] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 38

الحروف تكتب أفقيا فقط من اليمين إلى اليسار هذا الاستقرار في اتجاه الكتابة يظهر نضج النظام الكتابي الفينيقي وانتقاله من مرحلة التجريب إلى مرحلة التوحيد القياسي.[1]

تظهر الأشكال الخطية للحروف الفينيقية تطورا من الأشكال الزاوية والمستقيمة إلى أشكال أكثر انسيابية عبر الزمن كما أن حروفها كانت تنقش في الأصل باستخدام القلم، فإن أشكالها تتميز بكونها زاوية ومستقيمة في الغالب، رغم أن الأشكال المتصلة ازدادت في الاستخدام مع مرور الوقت، مما أدى إلى ظهور الأبجدية النيوبونيقية المستخدمة في شمال أفريقيا الروماني هذا التطور في أشكال الحروف يعكس التطور الطبيعي لأي نظام كتابي من خلال الاستخدام العملي والحاجة إلى الكتابة السريعة.[2]

مراحل التطور التاريخي للأبجدية الفينيقية

قسم علماء الآثار واللغويات الأبجدية الفينيقية إلى ثلاث مراحل رئيسية تعكس تطورها عبر الزمن وانتشارها الجغرافي المرحلة الأولى هي الخط الفينيقي القديم الذي كتبت به النصوص الملكية في جبيل من القرن الحادي عشر إلى القرن التاسع قبل الميلاد، مثل نص الملك أحيرام ونصوص أخرى عثر عليها في سردينيا يتميز هذا الخط بأن الحرف كان قويا وكثيفا، وأميل إلى الانكسار، وكان يستعمل خطا عموديا للفصل بين الكلمات نقش أحيرام، الذي يعتبر من أقدم النقوش الفينيقية المحفوظة، يظهر مستوى عاليا من التطور اللغوي والكتابي، مما يشير إلى أن الأبجدية الفينيقية كانت قد وصلت إلى مرحلة نضج كبيرة بحلول القرن الحادي عشر قبل الميلاد.[3]

---

[1] كارل هاينز برنهرت، نفسه، ص 112

[2] كارل هاينز برنهرت، المرجع السابق، ص 113

[3] فيليب حتي، المرجع السابق، ص 95

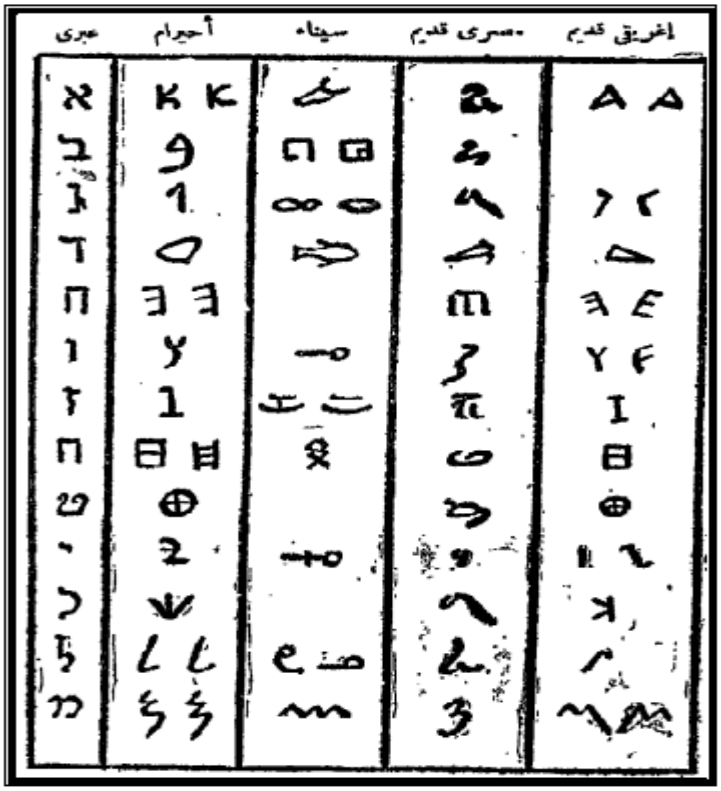

أبجدية نقش أحيرام (ج.كونتو ،الحضارة الفينيقية ،ص 339)

المرحلة الثانية هي الخط الفينيقي المتوسط الذي كتبت به معظم النقوش الفينيقية من القرن التاسع إلى القرن السادس قبل الميلاد يمتاز هذا الخط باستطالة الحروف إلى الأعلى أو إلى الأسفل، وبعض حروفها تأخذ اتجاها واضحا نحو اليمين أو اليسار، مما يسمح بتمييز الحروف التي غالبا ما تلتبس فيما بينها من أبرز خصائص هذه المرحلة عدم وجود فواصل بين الكلمات، على عكس ما كان مستخدما في الخط الفينيقي القديم هذه النقوش المكتوبة بهذا الخط عثر عليها في فينيقيا وسوريا

واليونان ومالطا ومصر وسردينيا وإسبانيا وإيطاليا، مما يظهر الانتشار الواسع للثقافة الفينيقية عبر حوض البحر المتوسط.[1]

تظهر دراسة نقش تبنت ملك صيدا، الذي يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، مستوى متقدما من التطور اللغوي والأدبي في الأبجدية الفينيقية خلال هذه المرحلة النص يحتوي على تراكيب لغوية معقدة وأساليب بلاغية متطورة، مما يدل على أن الفينيقيين طوروا تقليدا أدبيا غنيا باستخدام أبجديتهم المرحلة الثالثة والأخيرة شهدت تطورا أكثر نحو الأشكال المتصلة والمبسطة، خاصة في النقوش البونيقية والنيوبونيقية في شمال أفريقيا، والتي استمرت حتى القرن الثالث الميلادي.[2]

الانتشار الجغرافي والتأثير الحضاري

شهدت الأبجدية الفينيقية انتشارا واسعا عبر حوضالبحر المتوسط بفضل النشاط التجاري الفينيقي المكثف استخدمت الأبجدية الفينيقية بشكل أساسي في أراضي لبنان وسوريا وإسرائيل الحديثة من حوالي القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس قبل الميلاد لكن تأثيرها امتد بعيدا عن موطنها الأصلي، حيث نقلها التجار الفينيقيون البحارة عبر العالم المعروف آنذاك كان النظام الفينيقي بساطته وفعاليته سببا في انتشاره السريع، حيث تألف من عدد قليل من الرموز فقط مقارنة بالنصوص المعاصرة الأخرى مثل المسمارية والهيروغليفية المصرية.[3]

لعب التجار الفينيقيون البحارة دورا حاسما في نشر أبجديتهم في جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك، مما جعل هذا النص سهل التعلم هذا الانتشار التجاري أدى إلى تبني الأبجدية من قبل

---

[1] جورج كونتينو، المرجع السابق، ص285

[2] سباتينو موسكاتي، المرجع السابق،ص 23

[3] أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 215

شعوب وثقافات متنوعة، التي قامت بتكييفها لتناسب لغاتها وحاجاتها الخاصة إن الطبيعة التكيفية للأبجدية الفينيقية، بفضل كونها نظاما أبجديا بسيطا وسهل التعلم، جعلتها قابلة للتكيف مع لغات أخرى، على عكس المسمارية أو الهيروغليفية في القرن التاسع قبل الميلاد، تبنى الآراميون الأبجدية الفينيقية وطوروها لتناسب لغتهم.[1]

تظهر الاكتشافات الأثرية وجود نقوش فينيقية في مناطق واسعة من حوضالبحر المتوسط، بما في ذلك قبرص وسردينيا وإسبانيا وشمال أفريقيا هذا الانتشار الجغرافي الواسع يعكس النفوذ التجاري والثقافي الفينيقي، الذي امتد عبر طرق التجارة البحرية الرئيسية كما أن النصوص الفينيقية الاستيطانية، التي تصنف كمتغيرات من الأبجدية الفينيقية الرئيسية، تقسم إلى أصناف قبرصيةفينيقية (القرن العاشر الثاني قبل الميلاد) وسردينية (حوالي القرن التاسع قبل الميلاد) هذا التنوع الإقليمي يظهر كيف تكيفت الأبجدية الفينيقية مع البيئات الثقافية المحلية المختلفة مع الحفاظ على خصائصها الأساسية.[2]

تاثير اللغة الفينقية على الحضارات

تعتبر الأبجدية الفينيقية السلف المحتمل للأبجدية اليونانية، وبالتالي لجميع الأبجديات الغربية هذا التأثير التاريخي العميق يجعل من الأبجدية الفينيقية أحد أهم الإنجازات في تاريخ الكتابة البشرية تبنى اليونانيون الأبجدية الفينيقية في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد خلال فترة اليونان القديمة المبكرة مع

[1] Schmitz, Philip C. "A Research Manual on Phoenician and Punic Civilization," Journal of the American Oriental Society,2001, 636

[2] Pritchard, James B. The Sea Traders: Phoenicians in the Ancient Mediterranean (New York: Archaeological Institute of America, 1975, p 39

وجود نظام صوتي مختلف، كيف اليونانيون النص الفينيقي لتمثيل أصواتهم الخاصة، بما في ذلك حروف العلة الغائبة في الفينيقية كان من المهم أكثر في اليونانية كتابة أصوات حروف العلة، لأن الفينيقية كونها لغة سامية، كانت الكلمات تعتمد على جذور ساكنة سمحت بحذف واسع لحروف العلة دون فقدان المعنى، وهو ما لم يكن موجودا في اليونانية الهندوأوروبية.[1]

أعاد اليونانيون توظيف الحروف الفينيقية للأصوات الساكنة غير الموجودة في اليونانية، حيث كان لكل حرف من هذه الحروف اسمه مقتطع من الساكن الأول، وأخذ الحرف قيمة حرف العلة الآن الأول على سبيل المثال، "ألف" الذي كان يشير إلى الوقفة الحنجرية في الفينيقية، أعيد توظيفه لتمثيل حرف العلة /a/؛ "هي" أصبح /e/، "حيت" أصبح /e:/ (حرف علة طويل)، "عين" أصبح /o/ (لأن الحنجرية غيرت حرف العلة التالي)، بينما الساكنان النصفيان "واو" و"يود" أصبحا حروف العلة العالية المقابلة، /u/ و/i/ هذا التكيف الذكي للأبجدية الفينيقية أدى إلى ولادة أول نظام كتابي يمثل كلا من الساكنة وحروف العلة بشكل منهجي.[2]

إن النصوص المشتقة من الفينيقية تشمل النصوص الآرامية والسامرية، وعدة أبجديات آسيا الصغرى، والأبجديات اليونانية القديمة الأبجدية اليونانية تطورت إلى النصوص الغربية الحديثة مثل اللاتينية والسيريلية، بينما تطورت الآرامية إلى النصوص العربية والعبرية كما تم التنظير أيضا أن نصوص براهمي واللاحقة البراهمية للدائرة الثقافية الهندية انحدرت أيضا من الآرامية، مما يوحد فعليا

[1] جون البرايتهارمن، احمد أبو زياد، ماوراء التاريخ، دار النهضة المصرية، القاهرة، 381

[2] محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 189

معظم أنظمة الكتابة في العالم تحت عائلة واحدة، رغم أن النظرية مثيرة للجدل هذا التأثير الواسع يظهر الأهمية التاريخية الاستثنائية للأبجدية الفينيقية في تشكيل تطور الكتابة الإنسانية.[1]

الخصائص اللغوية والصوتية للفينيقية

تنتمي الفينيقية إلى عائلة اللغات الكنعانية وترتبط ارتباطا وثيقا بالعبرية إن معرفتنا باللغة الكنعانية محدودة للغاية، باستثناء ما يمكن جمعه من رسائل العمارنة المكتوبة من قبل الملوك الكنعانيين إلى الفراعنة أمنحوتب الثالث (1402 1364 قبل الميلاد) وأخناتون (1364 1347 قبل الميلاد) يبدو أن اللغة والثقافة والكتابة الفينيقية تأثرت بقوة بمصر التي سيطرت على فينيقيا لفترة طويلة، كما اعترف الملك ريبعدا من جبيل في إحدى رسائله إلى الفرعون بحلول 1000 قبل الميلاد، أصبحت الفينيقية والعبرية متميزتين عن الآرامية التي كانت تتحدث في كنعان.[2]

تظهر المقارنات اللغوية بين الفينيقية والعبرية والآرامية خصائص مشتركة ومتميزة على سبيل المثال، يستخدم البادئة "ها" في كل من الفينيقية والعبرية للإشارة إلى الاسم المعرف، بينما تستخدم اللاحقة "ا" في الآرامية الضمير للشخص الأول هو "أنوكي" بينما في الآرامية هو "أنا" (كما هو في العربية الحديثة) كلمة "ابن" هي "بار" في الآرامية ولكن "بن" في الفينيقية والعبرية مع ذلك، هناك اختلافات بين العبرية والفينيقية: تختلف أفعال "يكون" و"يفعل" والصوت الطويل "أ" في العبرية ينطق "أو" في الفينيقية. إن نظام حروف العلة في الفينيقية غير مفهوم بشكل مثالي بسبب خصائص نظام الكتابة خلال معظم فترة وجودها، لم تظهر الكتابة الفينيقية أي حروف علة على الإطلاق، وحتى عندما نشأت أنظمة تدوين حروف العلة في وقت متأخر من تاريخها، لم تطبق أبدا بشكل متسق

[1] سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، 1979، ص 277

[2] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 31

على المفردات الأصلية يعتقد أن الفينيقية كانت تحتوي على حروف العلة القصيرة //a، /i/، u// وحروف العلة الطويلة //a:، /i:/، /u:/، /e:/، o:// تتحقق الحروف المزدوجة السامية الأولية /aj/ و/aw/ ك /e:/ و/o:/، وهذا لا بد أن حدث قبل العبرية التوراتية لأن حروف العلة الطويلة الناتجة غير مميزة بحروف العلة النصفية. [1]

الأبجدية الفينيقية

تمثل الأبجدية الفينيقية تبسيطا جذريا للكتابة الصوتية، حيث كانت الهيروغليفية تتطلب من الكاتب اختيار هيروغليفية تبدأ بنفس الصوت الذي يريد الكاتب كتابته من أجل الكتابة صوتيا، مثلما استخدمت مان'يوغانا (الكانجي المستخدمة فقط للاستخدام الصوتي) لتمثيل اليابانية صوتيا قبل اختراع الكانا هذا التبسيط الجذري جعل النظام الفينيقي أكثر فعالية وسهولة في التعلم والاستخدام، مما ساهم في انتشاره السريع أدت الفينيقية إلى ظهور عدد من أنظمة الكتابة الجديدة، بما في ذلك الأبجدية الآرامية المستخدمة على نطاق واسع والأبجدية اليونانية.[2]

تطورت الأبجدية اليونانية إلى الأبجديات الغربية الحديثة مثل اللاتينية والسيريلية، بينما أصبحت الآرامية سلف العديد من الأبجديات والأبوجيدات الحديثة في آسيا النصوص الشقيقة الأخرى للفينيقية، التي تفرعت من نص السينائي الأولي، هي النصوص السامية الجنوبية بفرعيها الرئيسيين؛ النصوص العربية الشمالية القديمة التي استخدمت في شمال ووسط العربية، حتى حلت محلها الأبجدية العربية، والعربية الجنوبية القديمة، التي تطورت لاحقا إلى نص جعز، المستخدم ما زال في إريتريا وإثيوبيا هذا التنوع في النصوص المشتقة يظهر المرونة والقابلية للتكيف التي تميزت بها الأبجدية الفينيقية

[1] رشيد الناضوري، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، ج1، 1981، ص 153

[2] ويل ديورانت قصة الحضارة، ج1، تر: نجيب محمود،، مطبعة دارالجليل، 1998، ص 315

إن دراسة ترتيب الحروف في الأبجدية الفينيقية تكشف عن جوانب ثقافية واقتصادية مثيرة للاهتمام تشير بعض الدراسات إلى أن الحروف الأربعة الأولى تشتق من الممتلكات (A، B، G، D)، ثم "الكثير والكثير" (الحرف H)، مأخوذ من الهيروغليفية المصرية وجود البيت والخيمة الأصلية في بداية الأبجدية ربما كان يستخدم للإشارة إلى جميع المساكن البيوت والخيام بداية الأبجدية بحروف تتعلق أسماؤها بالممتلكات أمر لافت في حد ذاته (انتشرت الأبجدية بوضوح من قبل التجار، لذا فإن التركيز على الممتلكات ليس مفاجئا) وللإشارة إلى أن الحروف الأخرى ربما يجب أن تنظر أيضا من منظور الممتلكات هذا التفسير يظهر كيف أن الأبجدية الفينيقية لم تكن مجرد نظام كتابي، بل انعكاسا للقيم والأولويات الثقافية للمجتمع الفينيقي التجاري.[1]

المطلب الثالث: خصائص اللغة الفينيقية

اللغة الفينيقية (الكنعانية) من اللغات السامية التي كان يتحدث بها سكان الساحل الشرقي منالبحر المتوسط قديما، والتي تشمل لغات الشعوب الكنعانية مثل الفينيقيين والعبرانيين ومن بعدهم الفلستيين تنتمي هذه اللغة إلى الفرع السامي الشمالي الغربي، الذي يضم مجموعة من اللغات المترابطة التي تطورت في منطقة بلاد الشام خلال الألف الثاني قبل الميلاد.

تميزت اللغة الفينيقية بكونها لغة تجارية دولية، حيث انتشرت عبر شبكة التجارة الفينيقية الواسعة لتصبح لغة التواصل التجاري في معظم موانئ البحر المتوسط هذا الانتشار الجغرافي الواسع أدى إلى ظهور لهجات محلية متنوعة، مع الحفاظ على الهيكل اللغوي الأساسي المشترك.

[1] سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 47

اللغة الفينيقية قريبة جدا من اللغة العربية واللغة العبرية وتبعد نسبيا عن الآرامية واللغات السامية في وادي الرافدين كالأكدية هذه القرابة تتجلى في المفردات الأساسية والتراكيب النحوية، حيث تشترك هذه اللغات في جذور ثلاثية مشتركة وأنماط تصريف متشابهة على سبيل المثال، كلمة "ملك" في الفينيقية تظهر ك"ملك" في العبرية و"ملك" في العربية، مما يدل على الأصل المشترك

بحلول عام 1000 قبل الميلاد أصبحت اللغات الفينيقية والعبرية مختلفة من الآرامية، التي كان يتحدث بها في كنعان هذا التمايز اللغوي عكس التطورات السياسية والثقافية في المنطقة، حيث بدأت كل مجموعة لغوية في تطوير خصائصها المميزة استجابة للظروف المحلية والتأثيرات الخارجية. [1]

الخصائص النحوية والصرفية

تتميز اللغة الفينيقية بعدة خصائص نحوية مميزة تميزها عن اللغات السامية الأخرى يتم استخدام البادئة "حا" في كل من الفينيقية والعبرية للإشارة إلى اسم محدد، بينما في الآرامية يتم استخدام لاحقة "ا" هذا الاختلاف في نظام التعريف يعكس التطور المستقل لهذه اللغات عن أصلها السامي المشترك.[2]

أما في نظام الضمائر، فإن ضمير الشخص الأول هو "آنوكي" بينما في الآرامية هو "أنا" هذا التنوع في أشكال الضمائر يدل على التطور الصوتي المختلف الذي شهدته كل لغة، حيث احتفظت الفينيقية بأشكال أكثر قدما بينما تطورت الآرامية نحو أشكال أكثر اختصارا.[3]

---

[1] أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة، المعهد الوطني للتراث، 1993، ص 134

[2] عبد الواحد وافي، فقه اللغة، لجنة البيان العربي، ط6، 1968، ص 37

[3] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 45

النظام الصوتي والكتابي

تميزت اللغة الفينيقية بنظام صوتي غني يضم 22 صوتا ساكنا، تم تمثيلها في الأبجدية الفينيقية التي تعتبر أساس معظم الأبجديات الحديثة لم تكن هذه الأبجدية تتضمن رموزا للأصوات المتحركة (العلل)، مما يتطلب من القارئ معرفة مسبقة باللغة لفهم النص بشكل صحيح.

النظام الصوتي الفينيقي احتوى على أصوات مميزة مثل الحروف الحلقية والمفخمة التي لا توجد في اللغات الهندوأوروبية، مما جعل تعلم الفينيقية تحديا للشعوب غير السامية هذه الخصائص الصوتية انتقلت إلى اللغات التي تأثرت بالفينيقية، خاصة في المناطق التي أقام فيها الفينيقيون مستعمرات دائمة.[1]

المفردات والتأثيرات اللغوية

تأثرت المفردات الفينيقية بلغات الشعوب التي تاجر معها الفينيقيون، حيث دخلت كلمات من المصرية والأكدية واليونانية إلى الفينيقية في المقابل، أثرت الفينيقية على لغات البحر المتوسط، خاصة في المجال التجاري والبحري، حيث انتشرت مصطلحات فينيقية متعلقة بالملاحة والتجارة في اليونانية واللاتينية.

كما احتوت الفينيقية على مفردات متخصصة في مجالات الصناعة والحرف، خاصة تلك المتعلقة بصناعة الأرجوان والزجاج والمعادن هذه المفردات التقنية انتشرت مع انتشار التقنيات الفينيقية، مما جعل الفينيقية لغة علمية وتقنية في عصرها.[2]

---

[1] عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 38

[2] Serge lancel, carthage ; librairie arthéme fayade ,1992, p371

التطور التاريخي والانتشار الجغرافي

شهدت اللغة الفينيقية تطورا تاريخيا عبر عدة مراحل، من الفينيقية القديمة (1200800 قم) إلى الفينيقية الكلاسيكية (800300 قم) ثم الفينيقية المتأخرة (300 قم 500 م) كل مرحلة تميزت بخصائص لغوية مختلفة تعكس التطورات السياسية والثقافية للحضارة الفينيقية.

انتشرت اللغة الفينيقية عبر المستوطنات في شمال أفريقيا وجنوب أوروبا، حيث تطورت لهجات محلية مثل البونيقية في قرطاج هذه اللهجات احتفظت بالهيكل الأساسي للفينيقية مع إضافات من اللغات المحلية، مما أنتج تنوعا لغويا غنيا يعكس التفاعل الثقافي في العالم القديم.[1]

الإرث اللغوي والتأثير على اللغات الحديثة

رغم انقراض اللغة الفينيقية كلغة محكية، إلا أن تأثيرها استمر عبر الأبجدية التي طورتها، والتي أصبحت أساس معظم أنظمة الكتابة الحديثة كما بقيت بعض المفردات الفينيقية في اللغات المحلية لمناطق البحر المتوسط، خاصة تلك المتعلقة بالأنشطة البحرية والتجارية.

في العصر الحديث، أصبحت دراسة اللغة الفينيقية مجالا مهما في علم اللغات السامية، حيث تساعد في فهم تطور هذه المجموعة اللغوية وعلاقاتها الداخلية كما تقدم نصوص فينيقية معلومات قيمة عن التاريخ والثقافة والاقتصاد في العالم القديم.[2]

[1] عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات و اللهجات العربية القديمة، دار همه، ط1، 2005، ص 46

[2] أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 134

المطلب الرابع: التأثير الثقافي على الحضارات المجاورة

دور الوساطة الثقافية بين الشرق والغرب

اختلطت الثقافة الفينيقية والأفكار الخاصة بهم مع تلك الموجودة في منطقة بلاد الرافدين والموجودة في بحر إيجة في سوريا، مما جعلهم جسرا حضاريا فريدا يربط بين عوالم ثقافية متنوعة لعبت الحضارة الفينيقية دورا مهما في نقل الثقافات والمعارف بين الشرق والغرب، حيث عملوا كوسطاء ثقافيين بين الحضارات المختلفة، ناقلين التقنيات والأفكار والممارسات من حضارة إلى أخرى عبر شبكتهم التجارية الواسعة.

تجلى هذا الدور الوسيط في نقل المعارف الفلكية من بابل إلى اليونان، والتقنيات المعدنية من الأناضول إلى إسبانيا، والفنون الزخرفية من مصر إلى إيطاليا كما نقلوا أساليب الزراعة المتطورة، خاصة زراعة الزيتون والعنب، من الشرق الأدنى إلى شمال أفريقيا وجنوب أوروبا، مما غير الطابع الاقتصادي والاجتماعي لهذه المناطق.[1]

التأثير على الفنون والحرف

نشر الفينيقيون تقنيات فنية متطورة في النحت والرسم والزخرفة، حيث تعلمت الحضارات المحلية من خبراتهم في نحت العاج وصياغة المعادن الثمينة في إيطاليا، تأثر الفن الإتروسكي بشدة بالأساليب الفينيقية، خاصة في مجال صناعة المجوهرات والأدوات المعدنية.

كما انتشرت الزخارف والرموز الفينيقية في الفنون المحلية، مثل رمز شجرة الحياة والحيوانات الأسطورية مثل الجريفين والعنقاء هذه الرموز أصبحت جزءا من التراث الفني للعديد من الحضارات المتوسطية

[1] شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 117

استمر التأثير الثقافي الفينيقي لقرون طويلة بعد زوال قوتهم السياسية، حيث حافظت المستوطنات الفينيقية على التقاليد والممارسات الثقافية حتى العصر الروماني في شمال أفريقيا، امتزجت الثقافة الفينيقية مع الثقافات المحلية البربرية لتنتج حضارة مختلطة استمرت حتى الفتح الإسلامي

هذا التأثير الثقافي العميق والواسع يؤكد أن الحضارة الفينيقية لم تكن مجرد قوة تجارية، بل كانت حاملة للثقافة والمعرفة، ساهمت في تشكيل الهوية الثقافية لحوضالبحر المتوسط وأثرت على مسار التطور الحضاري في العالم القديم.[1]

[1] أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 135

خاتمة

خاتمة:

تمثل الحضارة الفينيقية نموذجا فريدا للحضارات القديمة التي تألقت في شرق البحر المتوسط، ليس فقط بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي جعلها جسرا بين قارات العالم القديم، بل أيضا بسبب ثراء ثقافتها وتنوع أنشطتها الاقتصادية والدينية والاجتماعية. لقد استطاع الفينيقيون، رغم صغر مساحة أراضيهم وضيق السهل الساحلي الذي سكنوه، أن يتركوا بصمة عميقة في التاريخ الإنساني من خلال إنجازاتهم في التجارة البحرية، والصناعة، والفن، والدين، ونقل الأفكار والمعرفة بين الشرق والغرب.

تميز المجتمع الفينيقي ببنية هرمية متطورة، حيث سيطرت الطبقة العليا من الملوك والنبلاء والتجار الأثرياء على مقاليد الحكم والاقتصاد، بينما شكل الحرفيون والموظفون الطبقة المتوسطة، في حين كانت الطبقة الدنيا تتألف من الخدم والعبيد. هذا التنظيم الاجتماعي انعكس على الحياة الدينية، حيث ارتبطت المعابد بالنخبة الحاكمة، وكانت مركزا للطقوس الدينية والاجتماعية والسياسية، كما تميز المجتمع الفينيقي بمكانة متميزة للمرأة التي شاركت في الدين والسياسة والاقتصاد، وبرزت أسماء نساء فينيقيات كقائدات سياسيات وكاهنات.

في المجال الديني، اتسمت الديانة الفينيقية بالثراء والتعددية، حيث عبد الفينيقيون آلهة متعددة تمثل قوى الطبيعة، وطوروا لكل مدينة ثالوثا إلهيا خاصا بها، مثل إيل وبعلة جبيل وأدونيس في جبيل، وبعل صيدون وعشتروت وإشمون في صيدا، وبعل شميم وعشتروت وملقرت في صور. هذا التنوع الديني لم يمنع من وجود إطار موحد يعكس ثنائية الذكورة والأنوثة ودورة الحياة والموت، كما شهدت الديانة الفينيقية تطورا نحو مفاهيم أكثر تجريدا وتوحيدا في مراحل متأخرة من تاريخها.

اشتهر الفينيقيون بطقوسهم الدينية المعقدة، مثل التضحيات البشرية والحيوانية، وطقوس البعث المرتبطة بأسطورة أدونيس، والتي تجسدت في احتفالات الربيع وطقوس الحداد في الخريف. كما لعبت المعابد دورا محوريا في الحياة الاجتماعية، حيث كانت مراكز للعبادة والاقتصاد والسياسة، وتميزت بتصميم معماري متطور يعكس فلسفة دينية عميقة.

في المجال الاقتصادي، برع الفينيقيون في التجارة البحرية وبناء السفن، مستفيدين من غابات الأرز في لبنان، وأنشأوا شبكة واسعة من الطرق البحرية التي ربطت سواحل الشام بمصر وآسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط وشبه الجزيرة الإيبيرية وشمال أفريقيا. اشتهروا بصناعة الصبغة الأرجوانية، والزجاج، والخزف، والمعادن، والنبيذ، وزيت الزيتون، ونقلوا هذه الصناعات إلى مستعمراتهم في غرب البحر المتوسط، مثل قرطاج في تونس وقادس في إسبانيا.

كان للفينيقيين دور بارز في تطوير الأبجدية، التي أصبحت أساسا لمعظم أنظمة الكتابة الحديثة في العالم، مما سهل التواصل التجاري والثقافي بين الحضارات. كما كان لهم دور وسيط في نقل المعارف الفلكية والتقنيات الصناعية والفنية بين الشرق والغرب، وأسهموا في نشر الزراعة المتطورة، خاصة زراعة الزيتون والعنب، في مناطق البحر المتوسط.

ختاما، يمكن القول إن الحضارة الفينيقية كانت حضارة متكاملة، جمعت بين الابتكار الاقتصادي، والتنظيم الاجتماعي المتطور، والثراء الديني والثقافي، والقدرة على التكيف مع التحديات الجغرافية والسياسية. لقد استطاع الفينيقيون، رغم غياب الوحدة السياسية المركزية، أن يتركوا إرثا حضاريا لا يزال أثره ملموسا في التراث الإنساني حتى اليوم، سواء من خلال الأبجدية، أو الصناعات، أو الممارسات الزراعية، أو الطقوس الدينية التي بقيت حية في الذاكرة الشعبية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

إن دراسة الحضارة الفينيقية تقدم نموذجا رائعا لكيفية تحويل التحديات الجغرافية إلى فرص للازدهار، وكيفية توظيف التفاعل الحضاري لنقل المعرفة وتعميق الهوية الثقافية، مما يجعل من هذه الحضارة مدرسة تاريخية تستحق التأمل والدراسة في كل العصور.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

Pline l'ancien, histoire naturelle, XXII Panckoucke-Paris, 1829

Strabon, THE GEOGRAPHY DE STRABON

Diodore de Scicile, Biobliothèque historique, traduire par A،F ،Milo, imprimerie royale, ،Paris, 1873،V 35

فرجيليوس، الإنيادة، تر: أحمد عتمان ،القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000

هوميروس، الأوذيسة، تر: دريني خشبة، دار المعارف، القاهرة، 1970م

هيرودوت، التواريخ، تر: عبد الإله الملاح ،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990، الكتاب الرابع

المراجع:

- أبو فاضل وهيب، *موسوعة عالم التاريخ والحضارة – من الحضارة الفينيقية حتى ظهور الديانة المسيحية* .ج9، ط2، نوبلس، 2005.
- أحمد أمين سليم، *في تاريخ الشرق الأدنى القديم: مصر وسوريا القديمة* .بيروت: دار النهضة العربية، 1989.
- أحمد حامدة، "التجارة الكنعانية، الفينيقية في البحر المتوسط." دراسات تاريخية، العدد 73-74، دمشق، 2001.

- أحمد فخري، *دراسات في تاريخ الشرق القديم – مصر والعراق وسوريا واليمن وإيران* . ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1963.
- أسامة عدنان يحيى، *تاريخ الشرق الأدنى القديم: دراسات وأبحاث* .بيروت: دار الكتب العلمية، 2006.
- الأسود، ناصر الدين، *الفن في بلاد الشام القديمة* .دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1995.
- بيومي مهران، *المدن الفينيقية، تاريخ لبنان القديم* .بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1994.
- ج. فرايزر، *أدونيس وعشتروت وأساطير الشرق الأدنى* .ترجمة سهيل زكار، القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2016.
- جان بيير فيرنان، *الكون والآلهة والناس* .ترجمة هنريت عبودي، بيروت: دار الفارابي، 2006.
- جان مازار، *آثار أرض الكتاب المقدس* .ترجمة بهيج شعبان، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1988.
- جان مازيل، *تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية* .ترجمة كمال قبيسي، بيروت: دار الكتاب العربي، 1993.
- جورج سارتون، *تاريخ العالم* .ج1، ترجمة خلف الله وآخرون، دار المعارف، 1957.

- جورج كونتينو، *الحضارة الفينيقية* .ترجمة محمد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.
- جون البرايتهارمن وأحمد أبو زياد، *ما وراء التاريخ* .دار النهضة المصرية، القاهرة.
- جيرهارد هيرم، *الفينيقيون: الأرجوان والذهب* .ترجمة محمد التونجي، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة، 1988.
- حاطوم نور الدين وآخرون، موجز *تاريخ الحضارات: حضارات العصور القديمة* . ج1، مطبعة الكمال، 1965.
- حبيب السيوقي، *سوريا ولبنان وفلسطين في القرن الثامن عشر كما وصفها أحد المشاهير الغربيين* .ج2، دار المخلص، لبنان، 1949.
- حسان حلاق، *ملامح من تاريخ الحضارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والديني* .بيروت: الدار الجامعية، 1991.
- خزعل الماجدي، *المعتقدات الكنعانية* .عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2001.
- خزعل الماجدي، *المثولوجيا الكنعانية* .القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2016.
- خليل أبو شوقي، *الحضارة الفينيقية في لبنان وسوريا وفلسطين* .بيروت: دار الفكر اللبناني، 1992.
- دراز أحمد عبد الحليم، *تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم* .دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2010.
- رشيد الناضوري، *المغرب الكبير* .دار النهضة العربية، ج1، 1981.

- رمضان عبده علي، *تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته* .ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
- سامي سعيد الأحمد، *تاريخ فلسطين القديم* .مركز الدراسات الفلسطينية، 1979.
- سباتينو موسكاتي، *الحضارة الفينيقية* .ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1988.
- سليم حسن، *موسوعة مصر القديمة* .ج3، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2001.
- سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر، *معجم الأساطير اليونانية والرومانية* .دار الفكر اللبناني، بيروت، 1996.
- الشاذلي بورونية، محمد الطاهر، *قرطاج البونية* .تونس: مركز النشر الجامعي، 1999.
- شيحا إبراهيم، *الفينيقيون تجار البحر الأبيض المتوسط* .بيروت: دار الآداب، 1975.
- صقر جوزيف، *موسوعة قصة وتاريخ الحضارة العربية بين الأمس واليوم* .بيروت، 1999.
- صموئيل نوح كريمر، *التأريخ يبدأ في سومر* .بغداد: دار المدى، 1997.
- عبد الجليل مرتاض، *دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة* .دار هممه، ط1، 2005.

- عبد الحفيظ الميار، *الحضارة الفينيقية في ليبيا* .بنغازي: دار الكتب الوطنية، 2001.
- عبد المالك سلاطانية، *الفينيقيون وحضارتهم* .دار الهدى، الجزائر، 2010.
- عضيد جواد الخميسي، "آلهة ورموز بلاد الرافدين في الأساطير القديمة "*.الحوار المتمدن*، العدد 713، 2021.
- العقون العربي، "الملاحة والتجارة بين الشرق والغرب في القديم وأهمية البحر الأحمر "*.الحوار المتمدن*، العدد 2648.
- علام محمد علام، *علم الخزف* .مطابع سبل العرب، 1967.
- عيد مرعي، معجم *الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق القديم* .بيروت: دار الرافدين، 2024.
- فراس السواح، *مدخل إلى نصوص الشرق القديم* .دمشق: دار علاء الدين، 1996.
- فراس السواح، *موسوعة تاريخ الأديان: الشرق القديم* .بيروت: دار علاء الدين، 2017.
- فردريك معتوق، *سوسيولوجيا الحضارة الكنعانية – الفينيقية* .ط1، منتدى المعارف، 2014.
- فؤاد صفر، *تاريخ العراق القديم* .بغداد: دار الحرية للطباعة، 1979.
- فيليب حتي، *تاريخ سورية ولبنان وفلسطين* .ج1، بيروت: دار الثقافة، 1958.

- كارل هاينز برنهرت، *لبنان القديم* .ترجمة ميشيل كيلو، مراجعة زياد منى، قدمس للنشر والتوزيع، سوريا، 1999.
- مارك فان دي ميروب، *بلاد الرافدين القديمة* .ترجمة عامر سليمان، بغداد: دار المأمون، 2001.
- مارك جلين، *الفينيقيون، شعب البحر والتجارة* .ترجمة سمير أديب، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2001.
- محمد أبو المحاسن عصفور، *المدن الفينيقية* .بيروت: دار النهضة العربية، 1981.
- محمد أبو المحاسن عصفور، *معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم* .بيروت: دار النهضة العربية، 1982.
- محمد الخطيب، *الحضارة الفينيقية* .بيروت: دار الفكر اللبناني، 2002.
- محمد الخطيب، *الحضارة الفينيقية* .منشورات دار علاء الدين، سورية، 2007.
- محمد السيد غلاب، *تاريخ الشرق الأدنى القديم* .القاهرة: دار النهضة العربية، 1995.
- محمد بيومي مهران، *تاريخ الشرق الأدنى القديم* .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1992.
- محمد حرب فرزات، *الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا* .دمشق: دار الفكر، 1986.

- محمد حسن، *الحضارات القديمة في شمال أفريقيا* .بيروت: دار النهضة العربية، 1985.
- محمد حشلاف، مطبوعة الدعم البيداغوجي في مادة حضارات قديمة، جامعة تيارت، 2020.
- محمد خليفة حسن أحمد، *رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته* .دار الثقافة العربية، 2002.
- محمد صادق صبور، موجز *تطور الحضارات الإنسانية* .دار الأمير الجيزة، مصر، 1998.
- محمد صغير غانم، *التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط* .لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، د.ت.
- محمد عادل الرحال، *صناعة المعادن وتجارتها في مملكة أوغاريت* .دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2018.
- محمد قدوح، *الكتابة، نشأتها وتطورها عبر التاريخ* .بيروت: دار الفكر المعاصر، 2001.
- معجم الحضارات السامية. ط2، مطبعة جروس بيرس.
- مها عيساوي، *المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم: من عصر ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي* .أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.

- موسكاتي سباتينو، *الحضارات السامية القديمة* .ترجمة السيد يعقوب بكر، دمشق: دار علاء الدين، 1998.
- ميرسيا إلياد، *تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية* .ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، 1987.
- نعيم فرح، موجز *تاريخ الشرق الأدنى القديم (السياسي، الاجتماعي، الثقافي)* . دمشق: دار الفكر، 1980.
- هنري عبودي، معجم *الحضارات السامية* .ط2، لبنان، 1991.
- هاردن دونالد، *الفينيقيون* .ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963.
- هناء عبد الخالق، "الزجاج الإسلامي في متاحف ومخازن الآثار في العراق مع دراسة أولية عن الزجاج القديم." دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976.
- وحيد محمد شعيب، *تاريخ التراث في الشرق الأدنى القديم* .القاهرة: دار النشر للجامعات، 2018.
- وديع بشور، *الميثولوجيا الفينيقية، ديانات الأسرار* .دمشق: دار المرساة، 2006.
- ول ديورانت، *قصة الحضارة* .ج2، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة، 1988.
- ويل ديورانت، *قصة الحضارة* .ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001.

.2المجلات العلمية المحكمة

- سليم حسين أحمد، "الفينيقيون أجداد الفن التشكيلي اللبناني "*.مجلة آثار العرب*، دمشق، 2010.

- غانم محمد صغير، "الملامح الباكرة لنشأة الزراعة وتطورها في بلاد المغرب القديم ". *مجلة العلوم الإنسانية*، جامعة منتوري قسنطينة، 2009.

- الذبيب سليمان عبد الرحمن، "الأوجاريتيون والفينيقيون "*.مجلة الجمعية التاريخية السعودية*، الإصدار 17، جامعة الملك سعود، 2004.

- محمد علي أبو شحمة، "المعتقدات الدينية الفينيقية في المدن الثلاث الليبية "*.مجلة البحوث الأكاديمية*، كلية الآداب، جامعة مصراته.

- الهاشمي رضا جواد، "الملاحة النهرية في بلاد وادي النهرين "*.مجلة سومر*، ج5، كلية الآداب مديرية الآثار العامة، العراق، 1986.

- حصة تركي الهذال، "المراكز والمستوطنات التجارية الفينيقية في غرب البحر المتوسط "*.مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، جامعة الأميرة نورة، العدد 41، 2015.

- خديجة منصوري، "الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة ". *مجلة دراسات إنسانية*، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد 2، 2002.

.3مذكرات وأطروحات التخرج

- أشلاف فطومة، "الصناعات الحرفية الفينيقية 1200 ق.م – 332 ق.م." مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009.
- أيت عمارة ويزة، "دور السفينة في التجارة والتوسع الاستيطاني في البحر المتوسط القديم." رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995.
- أنطون مورتكات، *تاريخ الشرق الأدنى القديم*، ترجمة فاضل عبد الواحد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988.
- عبد المالك سلاطنية، "المستوطنات الفينيقية – البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط". مذكرة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008–2009.
- وريدة علي محمد المنقوش، "الحياة السياسية في قرطاجة من التأسيس حتى نهاية الحرب البونية الثالثة." رسالة ماجستير، جامعة 7 أكتوبر، مصراتة.

المراجع باللغة الاجنبية:

Andrew J ،Koh, Andrea M ،Berlin, and Sharon C ،Herbert, "Phoenician Cedar Oil from Amphoriskoi at Tel Kedesh ،Implications Concerning Its Production, Use, and Export during the Hellenistic Age," Bulletin of the American Schools of Oriental Research 384 2020،

David Jacoby, "Silk Economics and Cross-Cultural Artistic Interaction ،Byzantium, the Muslim World, and the Christian West," Dumbarton Oaks Papers 58 2004،

Maria Eugenia Aubet, The Phoenicians and the West ،Politics, Colonies and Trade, 2nd ed ، ،Cambridge ،Cambridge University Press, 2001

Jawad Boulos, les peuple et les civilisations du proche Orient, Tome 1,mouton et co grauenage ,Paris,1961

Justin, histoire universelle, tome II, XVIII, traduction J ‹Pierrot et ,E boitard Edition Panckoucke, Paris 1933,

Moscati‹S, Les Phéniciens, éd‹Belbord, Paris, 1989

Parrot, Ch, Chipiez, Histoire de l'art dans l'antiquité, ‹Hachette, 1885 TII, P, 68‹

Pierre Vidal Naquet, Histoire de l'humanité, de la Préhistoire, a la fin xx2 Edition, hachette, Paris, 1987

Pritchard, James B. The Sea Traders: Phoenicians in the Ancient Mediterranean (New York: Archaeological Institute of America, 1975

Richard J ‹Clifford, "Phoenician Religion," The Biblical Archaeologist, Vol57 ‹, No 4 ‹ ‹225-223 ‹1994‹

Sabatino Moscati, The Phoenicians ‹New York ‹Abbeville Press, 1988

Schmitz, Philip C. "A Research Manual on Phoenician and Punic Civilization," Journal of the American Oriental Society,2001

Serge lancel, carthage ; librairie arthéme fayade ,1992.

الفهرس

شكر و عرفان 3

المقدمة: .....أ

فصل تمهيدي

الاطار التاريخي و الجغرافي 7

1الموقع الجغرافي و المؤهلات الطبيعية: 7

1الإطار الجغرافي الموقع والسطح.....8

1-2 أصل تسمية السكان: 12

2-2 أصل سكان فينيقيا:.....15

3-التطور الحضاري للحضارة الفينيقية 18

الفصل الأول: المظاهر الحضارية الدينية عند الفينقيين

المبحث الأول: النظام الاجتماعي 23

المطلب الأول: الطبقات الاجتماعية 23

المطلب الثاني: دور المرأة في المجتمع الفينيقي 26

المطلب الثالث: العلاقة بين الطبقات والديانة 28

المبحث الثاني: المعبودات 30

المطلب الأول: الآلهة الرئيسية 30

المطلب الثاني: آلهة المدن المختلفة 35

المطلب الثالث: التطور في المعتقدات الدينية 37

المبحث الثالث: الطقوس الدينية 39

المطلب الأول: طقوس العبادة والتضحية 40

المطلب الثاني: المعابد والهياكل 44

المطلب الثالث: المواسم الدينية والاحتفالات 46

الفصل الثاني: الدور الاقتصادي والتجاري للفينيقيين

المبحث الأول: الأسطول الفينيقي والنشاط التجاري 51

المطلب الأول: تطوير الأسطول البحري الفينيقي 51

المطلب الثاني: شبكات الطرق التجارية البحرية 54

المطلب الثالث: التنظيم التجاري والوساطة التجارية 57

المبحث الثاني: المنتجات الفينيقية والتبادل التجاري 60

المطلب الأول: الصناعات الفينيقية المتخصصة 60

المطلب الثاني: المنتجات الزراعية وزيت الزيتون 69

المطلب الثالث: شبكة التبادل التجاري والشركاء التجاريون 71

المطلب الأول: إنشاء المستوطنات التجارية 73

المطلب الثاني: الأثر الاقتصادي والحضاري للمستعمرات 77

المطلب الثالث: التأثير على الحضارات المحلية 81

الفصل الثالث: الحياة الثقافية عند الفينقيين

المبحث الأول: الفنون والعمارة الفينيقية 84

المطلب الأول: تطور الفن الفينيقي عبر العصور 84

المطلب الثاني: الصناعات الفنية والحرفية 87

المطلب الثالث: العمارة الفينيقية وخصائصها 91

المبحث الثاني: الأدب والفكر الفينيقي 94

المطلب الأول: الأساطير والمعتقدات الدينية 94

المطلب الثاني: الطقوس والممارسات الدينية 102

المبحث الثالث: الكتابة واللغة عند الفينيقيين 105

المطلب الأول: نشأة وتطور الأبجدية الفينيقية 105

المطلب الثالث: خصائص اللغة الفينيقية 116

المطلب الرابع: التأثير الثقافي على الحضارات المجاورة 120

خاتمة: 123

قائمة المصادر و المراجع: 127

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معالجة التطور الحضاري والجغرافي والاقتصادي والاجتماعي والديني للحضارة الفينيقية، بوصفها نموذجا مركزيا لفهم الديناميات الثقافية والتجارية والسياسية في الشرق الأدنى القديم وسواحل البحر المتوسط. تسلط الدراسة الضوء على الموقع الجغرافي المميز لفينيقيا، الذي أهلها لتصبح جسرا بين قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، وأتاح لها التفاعل مع حضارات متعددة مثل مصر وبلاد الرافدين. كما تبرز الدراسة أهمية النشاط التجاري البحري والصناعي الذي أهل الفينيقيين لبناء شبكة واسعة من المستعمرات (مثل قرطاج وقادس)، ونقل المعرفة والثقافة بين الشرق والغرب.

من خلال تحليل النظام الاجتماعي الفينيقي، تتضح البنية الهرمية للمجتمع الذي قادته النخبة التجارية والدينية، مع إبراز دور المرأة الفينيقية في الدين والسياسة والاقتصاد، وهو ما يعكس تقدما نسبيا في مكانة المرأة مقارنة بالحضارات المعاصرة. كما تبرز الدراسة التطور الديني الفينيقي، من حيث تنوع المعبودات وثنائية الذكورة والأنوثة ودورة الحياة والموت، وصولا إلى تحولات نحو مفاهيم توحيدية في مراحل متأخرة.

تظهر المذكرة أيضا اهتمام الفينيقيين بالفنون والعمارة، حيث برعوا في صناعة الصباغ الأرجواني والزجاج والخزف والمعادن، وأبدعوا في النحت والتجارة البحرية. كما توفر الدراسة نظرة عميقة على شبكات التجارة الدولية التي أسسها الفينيقيون، ومدى تأثيرهم في نشر الزراعة المتقدمة (خاصة الزيتون والعنب) والتقنيات الصناعية في حوض البحر المتوسط.

الكلمات المفاتحية: الحضارة الفينيقية، التجارة البحرية، النظام الاجتماعي، الدين، الفنون، المستعمرات

Abstract

This study aimed to address the civilizational, geographical, economic, social, and religious development of Phoenician civilization as a central model for understanding the cultural, commercial, and political dynamics in the ancient Near East and Mediterranean coasts. The study highlights the distinctive geographical position of Phoenicia, which enabled it to serve as a bridge between Asia, Africa, and Europe, and facilitated interaction with multiple civilizations such as Egypt and Mesopotamia. The study also emphasizes the importance of maritime and industrial trade activities that allowed the Phoenicians to build a vast network of colonies (such as Carthage and Cádiz) and to transfer knowledge and culture between the East and the West.

Through the analysis of the Phoenician social system, the hierarchical structure of society led by the commercial and religious elite is clarified, with a focus on the role of Phoenician women in religion, politics, and the economy, reflecting a relative advancement in women's status compared to contemporary civilizations. The study also highlights the religious evolution of the Phoenicians, with a diversity of deities, the duality of masculinity and femininity, and the cycle of life and death, eventually leading to a shift toward monotheistic concepts in later stages.

This study also shows the Phoenicians' interest in arts and architecture, as they excelled in the production of purple dye, glass, pottery, and metals, and were innovative in sculpture and maritime trade. The study also provides an in-depth look at the international trade networks established by the Phoenicians and their impact on spreading advanced agriculture (especially olives and grapes) and industrial techniques throughout the Mediterranean basin.

Keywords: Phoenician civilization, maritime trade, social system, religion, arts, colonie